العدد الرقمي الأول

قيصر عفيف
رئيس التحرير

الحياة لا تعرف الثبات. كل الأمور تتحوّل صعوداً وهبوطا. رجوعاً أو تقدماً. ونحن البشر نرصد التحوّلات ونتعاطى معها. أقول هذا لأننا في مجلتنا **الحركة الشعرية** قررنا أن نتوقف عن النشر **الورقي** ونبدأ النشر **الرقمي.**

ظهر عددنا الأول في خريف ١٩٩٢ واستمرت المجلة في الظهور حتى آذار ٢٠٢٤. لماذا بعد كل هذه السنوات قررنا التغيير؟ عندما بدأنا النشر كان الشعراء يراسلون المجلة بالطريقة التقليدية. يكتبون قصائدهم باليد على الورق ويرسلونها لنا بالبريد العادي. وعادة ما كانت تتأخر أسابيع أو تضيع على الطريق. وقتها لم يكن عند معظم الشعراء أجهزة الكترونية. أما اليوم فمعظم الشعراء يستعمل الأجهزة الالكترونية وعليها يقرأون ويكتبون، وصار بإمكان الشاعر أن يرسل مساهمته في دقائق معدودات ويتأكد من وصولها.

كانت رحلتنا متعبة مع البريد. أحيانا تضيع الأعداد وتختفي. أحياناً كان البريد يرجعها وأحيانا كانت تصل إلى أصحابها. في هذه الرحلات إلى لا أين كانت تضيع أسابيع وأسابيع. وكانت كلفة البريد تزداد ومصاريف التوزيع أيضاً. أما مع النشر الرقمي فلا مشكلة. وليس من مشكلة مع النشر

الرقمي في سرعة وصول المجلة إلى الجميع في الوقت نفسه. وبهذا أيضاً تتوسع دائرة انتشارها بين القارات.

مع النشر الرقمي نتخلص من كلفة شراء الورق وأجور الطباعة. وهذه كلفة تزداد مع الزمن. ثم إن استهلاك الورق يسبب أذى للطبيعة. فالحصول عليه يستدعي قطع الأشجار. وقطع الأشجار له تأثير سلبي على المناخ والبيئة. وبالتالي على الإنسان.

بعد ثلاثة عقود على صدور المجلة اجتمعت عندنا أعداد كثيرة. ضاق المكان الذي أفردناه للتخزين. مع كل عدد جديد صرنا نحاول البحث عن مكان جديد لتخزينه، والنشرُ الرقمي ينقذنا من هذه المشكلة.

نعتذر من الأصدقاء الذين كتبوا يقولون إنهم يفضلون الطبعة الورقية يحملونها إلى الشرفة أو الحديقة. صرنا نفكر أنه باستطاعة من يرغب أن يقرأها على هاتفه وهو على الشرفة أو في الحديقة أو في أي مكان آخر.

لكل هذه الأسباب رأينا أن الوقت حان **للنشر الرقمي.**

- **المكسيك، رئيس التحرير**

حوار مع الشاعر شوقي أبي شقرا:

كنتُ أول من كتب قصيدة النثر

أجرى الحوار سليمان بختي [1]

حكاية الشاعر **شوقي أبي شقرا** هي حكاية الكلمة التي صارت إنساناً. والإنسان الذي صار هو المكان والأثر والرمز والشعر. إنها رحلة ذاتية وجودية جمالية إنسانية، خاضها الشاعر حتى الامتلاء. صنع **أبي شقرا** مساره في الداخل ولم يستعن بخطاب أو أسطورة. قريته هي أسطورته. شاعر المكانية الجغرافية اللبنانية المفتوحة على المدى الإنساني الرحب. يجلس شوقي إلى شرفته يتأمل القمر. يرسم القصيدة. يفتح النوافذ لهواء جديد يطلع من وادي بيت شباب.

يتذكّر الوالد الذي قضى متدهوراً. مدرسة الحكمة وحلقة الثريا ومجلة **"شعر"** والرفاق والصفحة الثقافية في جريدة **"النهار"** وملاحقها، حيث صرف أعز الصرف. ينظر إلى كتبه الشعرية وعددها 14 وكتاب ذكريات وكتاب نثر فني بعنوان**" سائق الأمس ينزل من العربة** ."وصدر له في العام الماضي**" حبر ترجمات كالخمر يعتق** ."وماذا يفعل الشاعر بعد؟ يحتفل بالحياة ويحرك الأرض لزرع جديد ويرش الأرض قمحاً ويرصع السماء بالنجوم. يتحدث حراً عن تاريخ الشعر وفن الشعر وله في المجالين كل النصيب.

---

1 نشر الحوار في موقع **(almodon المدن** الأحد 18/08/2024**)**

-عشتَ في المدينة ردحاً وأكلت الخبز مع رائحة المازوت وعبرت كل معابر الحروب وكانت القرية أسطورة قصيدتك. هل ما زلت قروياً؟

ما زلت قروياً وكنت قبل قليل أسمع صوت الذئب من بعيد. لم أخرج من هذا الإطار ومن هذه المساحة الصغيرة التي أحبّها. ومن الصابون والماء وتلك ساعتي كانت هكذا وكان الوقت غروبا والساعة ساعة سجود. مر الذئب ولم يلمحني. لكنه مضى ولا هدير سواي. ورجعت إلى الفلسفة والثياب إلى عريي والماء إلى الدنيا والبخار إلى البحر. وأنا في القرية ورجعت إليها والآن ترجع إلي. والذئب لم يستطع أن يمزقها ولي جزء واسع منها وهو لي. أما الذئب فليذهب إلى الجاهل والأمي إلى من يكتب ولا يدري فك الحرف وما له شرف العنزة ليكونها ولا شرف الحرف ليكون القارىء.

-أنت اليوم في هذا المكان تغذ السير. تتذكّر الشعراء والرفاق الذين غادروا. هل تعود الوجوه؟ هل تستعاد القصائد؟ هل يدرك الحنين؟

كل الشعراء الذين غادروا إلى الأوسع ونزلوا عن الصهوة إلى المكان الأخير. كلهم في ذاكرتي وفي حسباني وفي أيامي. وهل الشعراء متميزون وإنهم حقاً كذلك فلا بد من قصر لهم. هم من هم. والتراب هو من هو. وهو الأرأف بنا وبالقصائد وأصحابها. وهو الناعم والطاهر الذي يحفظ الهياكل والأسماء على المعدن وفي الأثير وفي الصفحات. لا أتذكر أحداً ولا أقصد أحداً. أقصد السنديانة والظلال. أقصد البقاء وعدم الشحوب والصحة المكتنزة والقرية والشجرة. ولكن من المدينة من بيروت التي تنهض إلى الهناك. إلى الغبار الذي يملأني والطحين الذي يحط على أهدابي. ونحنّ إلى الكلمة فهي في آخر المطاف آخر الرواق تقع من فوق علي وتوقظني. ومن وقتها لا أنام .

-وصفت مجلة "شعر" بأنها كانت معملا للترجمة وكانت الترجمة تترى من أسرة المجلة ومن خارجها. كيف تتذكر المرحلة وخصوصا أنك نشرت في السنة الماضية ترجمات أو مختارات شعر لرامبو ولوتريامون...

وضعتها لمجلة "شعر" ومضى أكثر من نصف قرن عليها؟

نحن آنذاك ثمرة من الماضي وإلى ملعب المغامرة ونضيف إلى أنفسنا. وترانا نقول عن حالنا انها كانت أجمل حال. وكنا ولا نزال ننفعل حيث الأمر الجيد والجديد. وفي أننا ولو هو العمر ما زال باكراً وعلى مقربة من الشمس وضوء القمر. كانت مجلة "شعر" على حصانها على القلم والموهبة والدقة والاندفاع. ورحنا في الموازاة نترجم النصوص الآتية من هناك وكنا لها في التحدّي والرضا عن الذات. وكنا ولا فلسفة ولا أي مديح ولا أي هوى بل ننزل إلى الكوخ إلى متعة جديدة حيث النار والوهج. وها نحن في كل مرة أمام الدهشة كوننا القطار الذي يحمل الثمار إلى القصيدة القطار، الذي يصيح علينا لنصعد لنكون أيانا ونحمل الشطارة. ونصنع العيد والذي هو صاحب المتعة وسيد القيمة العالية الأغصان. أي فوق الأشياء العادية. وهكذا صرنا إلى الاحتفال إلى حفلة التتويج وإلى تاج المعرفة. بل إلى تاج القصيدة وكأنها الأميرة الجديدة طوال الصلاة وطوال البحبوحة. لماذا أنشر تلك الترجمات؟ إنها تلك الأيام في بيروت وفي مجلة "شعر" في تلك المجرّة والمحراب. أو نحن والمجلة وتلك الخمر تنبع من النفوس المشتاقة إلى حياة جديدة إلى حالة أخرى كأنها العلامة. ولم نهدأ منذ تلك الحقبة إلى أن نحرز حتى الصدى. وهو إشارة لنا ومن الكنز الذي صار إلى الوجود، إلى أن يكون الحقيقة. ولا بد من الميزان ومن الرعشة التي تختبئ في الجسد. ونحن الرعاة ونحن العصا نقود الشعر ونرسل النثر إلى العالم حوالينا. انها المغامرة والغاية والأمثولة والجوهر. والغاية الأولى هي الترجمة التي تنفلت مع الشاطر إلى كأس خمر. ونحن في بحر الترجمة وفي الغيرة والاجتهاد. أنا المشتاق وفي خضم الرحلة إلى الترجمة، إلى تلك الأعمال من قلمي ومن حرصي على ما فعلت هناك في مجلة شعر. نقلت قصائد من الشاعر الفرنسي رامبو عام 1959 وأيضاً ترجمة من الشاعر ريفردي مع نصوص شارحة وكذلك من الشاعر لوتريامون. كيف كانت الترجمة؟ أكاد أقول إن ترجمتي في تلك المرحلة كانت باهظة الكيان للوصول إلى الرضى وحماسة الرضى على العمل. ويبدو لي وأنا في ذياك الوهج وعلى رسلي ذلك المغوار الذي يفتح النص زهوة وشعلة. ورأيت أنني أجيد أيضاً ترجمة

الشعراء من نافذة إلى نافذة ومن لغة إلى لغة، وأسبح في القمح وهو يغلي. وهكذا وجدت اللغة وكأنها صاحبة الكيان، صاحبة الأدب الذي من صنعي وبصمتي ووعيي لكل ما جرى. وما أطيبه وما أحلى ما تمّ وما صار .

-ظهر لك في المرحلة الأخيرة كتابات نثرية مثل "سائق الأمس ينزل من العربة "و"شوقي أبي شقرا يتذكر"... سؤالي لماذا ينثر الشاعر شوقي أبي شقرا؟

إنه نوع من المغامرة والتقاط ربما ما لم تستطع القصيدة التقاطه. تنويعات على القصيدة وأكثر. في النثر تستطيع التقاط الفتات والتفاصيل والذرات والتقاط الكومبارس. لأن الحياة تتألف من ملك وملكة وأمير وأميرة وفارس وحبيبة والماركيز والدوقة والكونتيسة والباشا والبيك. وهنا ألملم الأشياء التي تقع خارج السلطان، وهو لا يرى كل الأشياء. السلطان يرى وزيره وقائد الجند والمستشار. ولكن أنا من يرى العسكر والخدم وكل الذين يؤلفون الحياة الحلوة، وأردت أن أجسدهم والتقطهم قبل أن يضيعوا. أريد التقاط العالم الذي فلت من يدي وأنا منهمك في القصيدة.

-لدي سؤال حول قصيدة النثر في مجلة شعر. كيف ظهرت؟ ومن هم أبطالها؟ وكيف احتلت مكانها؟

كنت أول من كتب قصيدة النثر وأول من أطلق المصطلح. في 28 نيسان 1959 نشرت أربع قصائد في جريدة "النهار" تحت عنوان**" رب البيت الصغير "**وقلت في مطلع القصيدة "القهوة على الأرض ما الصراخ ورب البيت يحزو... من أوحى للزوار أن يأتوا عنده للمحة لسهرة؟ القهوة ثمينة ومعاشه خفيف كمفكرة لا يقوى أن يخدم ويرحب والستائر لا تغطي الشمس والفقر". أحيلك هنا إلى مرجعين، كتاب "خميس مجلة شعر" للباحث جاك أماتاييس السالسي وإلى كتاب "قصيدة النثر وما تتميز به عن الشعر الحرّ" وهناك ترى الخبر اليقين. وفي ربيع 1960 كرست مجلة "شعر" العديد من اجتماعاتها لقصيدة النثر. وبحسب اماتاييس فإن شوقي ابي شقرا أول من نشر محاولة وصفها بقصيدة النثر. وأن أدونيس أول من كتب دراسة عن

قصيدة النثر. وأنسي الحاج أول من نشر مجموعة شعرية "لن" مع مقدمة في هذا اللون الأدبي الجديد في كانون الأول 1960.

قصيدة النثر هي نتاجنا، كأننا البوابة في زمن الهوى. وعند هذه الطريق وعند هذه الكلمة الخصبة وضعت القصائد في الضوء والكأس.

-سؤال أخير. هل تخاف على القصيدة أم على الشاعر أم على الاتجاه أو تخاف من التشابه الذي يضيع الفرادة؟

هناك خوف على القصيدة وأن يأتي شعراء أقل من القصيدة. وهذا يجعلني أحزن حين أقرأ قصيدة غير ناجحة. ليس هناك أصعب من الفشل في كتابة القصيدة. لا تهمني الاتجاهات بقدر ما يهمني الشعراء. عندما يكون هناك شعراء حقيقيون يصير لدينا اتجاهات. ومن ألوانهم يكثر الارجوان وتكثر الألفاظ. كيف تنجو القصيدة؟ كيفية تركيب الصورة. دائماً أنظر إلى الحركة الفنية للشيء، للصورة واللفتة. والتركيب قبل الموضوع. الكيفية في اللعب على الشكل قبل المضمون. وعندما أقول حركة الشكل فهذا يعني مضموناً آخر. كل الفنون في النهاية تطمح إلى الشعر. طموح كل كتابة أن تصل إلى النفحة الشعرية. واللذّة دائما شعرية. ولا يمكن أن تشفى طعنة الشعر إلا بالغفران.

من عشوائيات الوحدة
م علاء الدين عبد المولى

1
الجميلات يخفين جمالهنّ كما تخفي القصيدة سرّها.
...
...
وبين الشجرةِ والذكرى تقف الشاعرةُ تاركة ساقيها نهرينِ للضوءِ
كيفما تحركتْ ففي كلماتها صرخاتٌ للماءِ وأنينُ رغبةٍ تتناقلها القصائد من فصل إلى فصل.
مرة تكون "سولو للخريف"، ومرة يكون "خوفها مركعًا وهميّا "
ولكنها في كل مرة تتلطّف بنجماتِ المنفى وتنتقي سبع نجوم منها تلفّها بمنديلٍ يمتدّ من بلاد الغيم الرمادي إلى ساحل المتوسط...
الجميلةُ التي تخفي وجهها بين عشرين قصيدةٍ
تنسى جسدها من جهة اللغةِ مكشوفا للتأويل
وها أنا أنتهز غيابها لأصنعها من بعض الكلماتِ
ولن أنسى أيّا منها مكشوفًا للنسيان.

2
تفتح المغنية خزانة الموسيقى:
هذا مقامٌ قصيرٌ تظهر منها ركبتاي
هذا مقامٌ شفّافٌ يكشف عن علاماتي السرية
هذا مقامٌ حزينٌ يلائمُ رضوض القلبِ

هذا مقامٌ جذلٌ يمسّ سرّتي بقبلةٍ مالحةٍ
هذا مقامٌ سريعٌ يسابق نبضات الحنين
هذا مقامٌ جليلٌ يمكنه احتواء ترتيلةٍ مفاجئة صباح الأحد
هذا مقامٌ
هذا مقامٌ...
ثم تغلقُ الخزانةَ وتمضي نحو سريرها
تجمعُ عنه روائح الليلة الماضية، تدهن بها حنجرتها وتذهب إلى المسرح.

3
تُمضي العاهرة ليلة الأحد
بين سريرين يتبادلانها
وعند نضوج الشمس التالية
تذهب إلى سريرها الخاصّ
تحاول بناء ما تهدم في الليلة الماضية
وهي تصغي إلى أجراس القداس

4
لا شيء في الكون أكثر وحدةً من السراب!
هو يدرك أنه كلما اتجه إليه الآخرون، سوف يبتعد ويبقى وحيدا.
أنا شخص السراب.

5
لو قطفتُ كلمتي من كتفكِ وأنتِ تعزفين بيانو، فماذا تكونين؟
هل تضيفين إلى الاستعاراتِ هارموني يشرح المخفيّ؟
لا أتذكر كيف كانت الشجرة قبل موسيقاكِ،
أنا أعرف الآن أنها تحمل ثماركِ أكثر .
ولا أتوقع كيف سيكون موسمي آخر السنة،
لكني أتحسس منذ الآن خيالات القناديل السائلة على جدران المكان

فيما صوتكِ يسقي الساهرين.
عشوائية هذه الساعة .
تضبطها فقط حركة ذراعيكِ العاريتين على ظلال الركن المحلّق قرب جسدكِ.
عشوائيّ جسدي الآن.
لا يضبطه غير ساعةٍ لا عقارب ولا أرقام فيها.

6

لم أكن أقصد وجهكِ حين ناديتُ شجرة الورد خلف كلماتي.
ولا كنت أقصدُ يديكِ حين أعلنتُ عن إحساسي بانتهاء العناق.
ولا كنت أقصدُ ليلكِ حين احتجتُ ذلك القمرَ قبيل الفجرِ المبلّل بين فخّارتين.
ولا كنت أقصدُ أسطورتكِ حين ألّفتُ أغنيةً عن إنانا الصغيرة.
ولا كنت أقصد ذكرياتكِ حين عجزتُ عن نسيانكِ...
فلماذا لا تصدقينني؟
*شرح **الكلمات**: فخّارتان كانتا تطلاّن على باب دمشق المغلق .
فخّارتان طمرت بينهما اسمكِ الحمصيّ كما طمرت روما آخر كلمات جوليا دومنا.

7

نحتاج أن نتبادل الأزهار في الجنّازِ
نرمي خوفنا خلف في أسفل الوادي
ونقفز في الفراغ مع الطيورْ
نحتاجُ تخفيفَ الجحيمِ على النفوسِ
لتستمرّ الأرض في أعمالها
مثلاً: نواصل محوَ آثار الخرابِ عن النوافذِ
أو نتيح لقطّة الجنس المضيءِ
بأن تموء على هواها دون رعبٍ في السريرْ
...

نحتاجُ تلطيفَ التراجيديّ بالضحكِ السخيفِ على كوارثنا
وفيما بعد... نكملُ صمتنا خلف الصخورْ
...
نحتاجُ عصفوراً يذكّرنا بميعادِ الخروجِ من القبورْ...

8

من جماليات النبع:

1

يريدك الآخرون نبعاً مطلقاً ،
حسناً يا نبعُ ... لو أصغوا إليك قليلاً لاكتشفوا أن هو أنينُ أعماقك.

2

والنّبع في نزوله من عليائه ،
يسقي في طريقه حتّى الأعشابَ الضّـارة!

3

البنت التي ذهبت تعبّئ جرّتها من النّبع ،
أخطأت ، فنسيت الجـرّةَ ممتلئةً ، وحملت النبع على كتفها.

4

جلس الشاعر قرب النبع ،
فلم يميّـز الآخرون بينهما.

5

مع أن النبع واقف في مكانه ثابتاً ،
لكنه لا يتقدم إلاّ إلى الأمام...

6
سألتني (ميري) ما قصتك مع النبع؟
قلتُ: مذ عرفتُكِ أصبحتُ خبيراً بعلم الينابيع،
وصار لديّ خبرةٌ بتصنيع مفتاحٍ لكل ينبوع فيكِ.

7
تغسلُ البنتُ قميصَ نومها المرمريّ بماء النبع،
فتستفيقُ ذكورة مائيةٌ ويفيض منسوبه أكثر...

8
الجميع يغسل يديه بماء النبع:
من تلطّخت يداه بالدماء، ومن تضمّختْ يداه برحيق النهدين.

9
وكأنّ بئراً ما بسورة يوسف
ستكون ملجأك الأمينْ
وكأنّ كلّ جمالها
أصداء نبعكِ يا حنينْ

- **سوريا (ألمانيا)**

الحلم غيم أم ظلال؟ قصائد مختارة

أريج حسن ـ سوريا

1

تريد أن تورق ،
لكنك لم تعد تجرؤ ؛
فالشمس يداعبها التضور
والحلم غيم أم ظلال ؟!
تحسبين الليل معزوفة تفصلك
عن النهار الطويل والكئيب ،
وأنك به تستدرجين نفسك!!
ثم .. عليك ترميم نبضك
قبل أن تنصرفي إلى صلابتك..
لكنهم ومضات تجيء وتلمع في فناءاتك،
ومازال التساقط فتي ،
والوهم الذي يمر من النوافذ .. برهة الشفاء
لقد كان الصباح مرفأ
تصله رسائل الغرقى في الحب ،
أو الألم
ها أبحرت منه اللغات..
تلك الأرواح الراسية
كم هي غريبة ومؤلمة ؟!

2

نعم أحبك
لكنها خطوتي تتلف بلا أي حق
عاريا خرج الدافع إلى شرفته
أفرغ مشطا من الذعر واللوثة
بعدما تبدل وجهه ..
أحبك
لكنه قلبي ممزق
إلى مناطق آمنة وأخرى
..غير آمنة
هكذا أشعر بخدر نصفي
تنميل زاحف من أخمص الليل
إلى شفتي
ألا تعلم
أن الأطفال هنا خطر
يكافحونهم بالمناهج والبرد
ذلك بعد أن يدمغوا فخذ تطلعاتهم بقهر مذهب عتيق
أنكمش على صدرك ؛
كي لا ألمح لقطة تشوه سمعة الشمس
فأنا أحبك
حتى أعراض سكتتي كانت كاذبة ؛
كنظرة الأسف الشديد
على هذا الذي يجري
الأسف الذي بعد بوزات السيلفي المرهقة ،
يأخذ سحبة من سيجاره
ينفث تعاطفه هنا .. و ينعس
كم أحبك!!

3

تقول اللوحة التي في العتمة وتنسى أنني أعرفها:
مالم تبك على نفسك
دون أن تغلق الباب بخوف شديد
لن تجتاز البياض الذي ينتصب أمامك
ويتقاذفك كأوراق ميتة
كثيرا تصير خلاء
يهرب بخطوات نحيلة
من طيف غرسه أهلك وسط رأسك
لو أنهم دفنوا رأس الماعز في جثة الآن
لما شعرت بأنك على ما يرام
وأنت يهدمك ما تشتهيه
مالم تضحك على نفسك
بينما تحمل كل هذا الندم
لن يمسك الوردي الذي
سيميزك..

4
سأخترع جوا
تلهمني آخر صيحات الأقنعة
لأجني ليلا يتمدد عليه قلبي
قلبي ذاك الإمام المرتبك
لا يهمه أن أكون جزءه أو حتى كله
لا تبهره خلطة الآلهة المسكوبة من الوراء
ماذا سنأكل غدا؟!
كيف سنتدبر أقساط البديهيات ؟!
أي خدعة سأرتدي لأمرق بينهم دون أن أضيع
هذا ما يشغله..
لا يفتش عن اكتمال داخل هذا الرياء

فشقيقة النعمان
حكت لي كيف أنها بعد قواعد العشق
تمردت على الريح و على ذاتها
بأن أصبحت ترقص دائخة في الأعراس
ضحكت و بكيت عليها
لعنت خرابة الأرواح تلك الهبات الدارجة
وبخوف أخذت أتحسس دمي
دمي المسكون
بصغار اللاهثين تحت السروج
لأطمئن على أنهم ما زالوا
يجلدونني بآلامهم الناجية
قلبي ..
ذاك العائم على بطنه
يفتح عينه ليراقب جرياني نحوه
يدفعني للضحك
بأن أكتشف العالم
من شفته السفلى
تعال نندم معا .. هنا
حيث تحاك الوحدة للجميع
يتسللون إلى النوم هربا من غلاء النهار
يدعون الاستغراق
بينما الأرقام تتسارع
تعال نهلوس معا
بعدما عدنا إلى السمرة
و لنتسرب من براويز لا تجيد مهنتها
ماذا لو نسيت لوني على جلدك ؟!

5

أهنالك تركة تقف وراء قص شعرك .. جينزك
أو ربما تمزيق لحظة وقوعك في الحب
كلما مررت بذعر لا تفسير له ؟!
على شاشات مخصصة لفاقدي القدرة على النوم
تعرض برامج تحض على الأمل
أما باقة الورد التي بلا أية رائحة أو معنى
سيجدون لها يدك
وسوف يدار بينك وبين نفسك حديث بخوف نبرته ناعمة
عن مدة قيلولتك الطويل :
"من أفقدك الرغبة في التشمس إذا ؟!
أهو ذلك الهسيس الذي تصدره أمنياتك الغضة
وهي تتخيل تعذيب من تحرش بها
من .. وهي تدفع عنها آلة البتر
ذاع القطيع من المرضى أنها
لم تعره اهتماما لتستدرج شهواته ؟!
أهي تلك الريشة المتنصلة من وعيك
تحاول أن تهش ظلالا قتلتك
نحو فوهة بركان يجيء على هيئة غيم ..
رغم القمر الذي تعكسه نوافذك ؟!
بينما توصي الطفولة
أن لاتضع سماعات الأذن وهي تعبر المزاجات داخل الأقنعة
أهو ارتجافك ؟" !
أما باقة الورد التي بلا أية رائحة أو معنى
سيجدون لها يدك
وسترافقك طوال دربك
شارة تحض على الأمل..

"لا أفهم وجهها
وهي تتمشى بمحاذاة نومي
أتجسس من فوق كتفيها على هيئتي الساذجة ..
لتمر عواطفها بسلام
أنسى ما تقوله لحظة الفرح أو اليأس أو الجنون
وما لاتقوى على قوله يعذبني .. كجمالها أول الفجر
لا شيء
مثل بخة العطر وراء أذنها
يطيل عمر فراشاتي الطارئة
تقول مغشيا عليها من الضحك
إلى أدنى إيقاظ يثيرها :
سيكون صعبا تمرير الحب بين الأعباء
كخداع فر لحظة اكتشافه
تسارع دون وعي لاحتضاني
أخاف سعاداتها التي على وشك الانهيار
لماذا يغلبها النعاس
أوقات ضجيجي ؟!
كما لو أنني زهورها المجففة
تحت غلاف .. تتجنبه
كم سيتبدل صوتي!!
ال تمكث إناثه .. بين رجفاتها
ال صغاره جند العواصف والأزمات
سيكون المكان
كقهوتها التي تبرد..
فيما يدها .. المصابيح التي تمحو غرابته
كم ستتشكل .. ممارسات الريح !!
وأتعرض للرفض
فأعرب عن تضامني مع التيه

على وجه ذهولها شريط أسود .. لامع
مائل
وأنا الطفل الذي أمام سنواتي القادمة
أغلق .. لوني
الطفل الذي مدعيا هيئته الساذجة
عيناي تطلان من آفاقها الطيفية
تشعلانها ..
إلى أن ينتشلها .. اختفائي "
يقول الغارق في تحويل دوائره الهاذية
إلى ما يشبه .. رائحتها

7

كان لابد أن ننزلق
و بنفس هذا الصخب الحائر
لندرك أنه لمن الهشيم
أن لا يخاض الإسراف في الظلمة
ما الذي راودني بعدما أنجبت أول الضوء؟
الخوف..
لكنه الإرهاق ذلك الذي أغرقني في
الأمومة الحادة
الابتسامات أربكتني
وكأنني تعريت أمام قطعان زيف أطلق سراحه للتو
وكأنني خدش يخطف لالونهم
مجحف من لم يحقق تخيلاتهم الحافلة بالدوي
في مثل هذا الغرق أطوق عنق السقوط العائم
وأية رائحة يجهلها هذا الوباء
صدرك الذي لا يخذلني
ماذا لو طالت إقامتهم في صحو يعرج

ولا يقود إليك ؟ !
ها قد أشرق الخواء فلأدعي غفلتي

8

لون البيج
رائحة بنزين منبعثة
من تحت إبطي العطلة
مُرهِق كفراغ مزموم
مللتُ سحق تجاعيده
عندما أكبر سأعمل طبيبة بيطرية
لأنني أحب القطط و الكلاب
لأنني بكيت بحرقة تحت طاولة السفرة
بعدما رشق الصبية بالحجارة
الطفلة المريضة
لأنها مريضة
أو سأصبح طبيبة محبي هذا اللون
يشبه الحرب كثيرا
بطنه رمال متحركة
عظامه الناتئة كثبان قتلى
علي أن أجني مسابحا من الآيس كريم
أعطني ورقة اليانصيب الرابحة
لأبيد بالفريز و الشوكولاه رائحته
قبل أن أتغير..

9

أحبس بكائي لئلا تقول لي أمي
"كله من الشعر"

لئلات كثيرات
لا تأخذ بيدي المتمسكة بالقصاصات
على أنها الرائحة الأولى للغرق أو الطفو
للصعود أو الهبوط
وما بينهما
على أنها ذاكرة اجتياز الاستقامات المعقدة
ككتم ضحكتي التي من القلب
كترويض انفعالاتي المخجلة
كضرورة تناسق مشيتي على وقع هذا الخلل
معايير العبور في أذهان ترابية كهذا المد المخيف
أدير لها ظهري .. أبدو قوية وصلبة
أقول أبدو
بينما تحاول اكتشاف شفتي الواضحتين
لدغة الآن تقودني
إلى التوجس ..
إلى حدتي المختلفة عما تصورتها
ترى أين
وكيف تكون بعد .. الحداد؟!
أو عند الرجوع إلى نوبة وعيك؟!
ترى ما دربك آنذاك ؟!
كان قد
تعالى نبضي
لأحط على شاطئ يعج بالحواس
غير المنكهة
لاتصله الجنائز أو الزغاريد المروعة
حيث نبرتك .. أشرعتي
حيث وشوم الشمس تنمو على طريقتها
طائشة

فاتنة .. عالية
يستوقفني الغروب
الذي كخمود صبية
واجهت تعاليم الشحوب
قبل أن تقيم والمضي بين الأشياء نفسها ..
وأنت ..؟!

أحلامُ الجنديِّ القتيل
حيدر الكعبي

مات الجندي
ماتت عيناه وتخَثَّرَ فيهما الضوء
وماتت شفتاه وتوقفتا عن الدعاء
وماتت يداه وتخلتا عن صور أطفاله
وامتدتْ قنطرة جسدِه
بين خوذتِهِ وجزمتيه
وشَرَعَ الدودُ يتسلقه
والغبارُ يلوّن أهدابه
وكفَّ حَسَكُ لحيتِهِ عن النمو
لكنَّ مرآة حلاقته
ما زالت تلتقط الشعاع
كبحيرةٍ بحَجْمِ الدِّرهم
وَسَطَ أَبَدٍ من اللامبالاة
وحملت الريح عطر دمه
فجاء الليل ووخزه بعصاه المدبَّبة
ففتح الجنديُّ القتيل عينيه
ورأى معسكر السماء يتهيَّأ للمعركة
والنجوم فوهات بنادق ساخنة
والظلامَ يتكوَّر في أحشاء خوذته
ثم رأى الرعود تتشاجر

والأمطار تهطل مثل إنزالٍ مظلي
فنطَّ قلبُه إلى الماء كضفدعة مرعوبة.
وأخيراً أقبل الصباح بجناحيه الأبيضين
فهزه من كتفيه
وأخذت الشمس تزرّر أكمامَه
وطيورُ الطيطوى تنقر الصلواتِ التي تَخْرُج من فمه
وأصابعُه تبحث عن القرص المعدني الذي يحمل اسمه
وخَطَفَتْ ظلالُ جنودٍ مسرعين
فلَمَسَتْ حواشيَ جسدِه
مثل أرديةٍ كهنوتية
سمع نكاتِهم تَتساقط كالتمر اليابس
وحدَّقت عيناه في أصابعه الشبيهة بالأشواك
وهي تحاول أن تستوقفَهُم.
وحين انحدرتْ عربةُ الظهيرة بأجراسها الصفراء
رَشَقَتْهُ آلافُ الدبابيس
فشَعَرَ بثِقَلٍ في أجفانه
ورأى في المنام سُلَّماً من أشعة الشمس
يخترق السماء كنصلٍ فضِّيّ
ورتلاً طويلاً من الجنود
يرتقون درجاته
برؤوس مثقوبة وخطواتٍ مُوَقَّعة
محفوفين بطيور الطيطوى
فقال الجندي القتيل لنفسه
ما أطولَ الطريقَ إلى البيت!
وليس ثمة من شاحنة
أو سيارة إسعاف
وما زالت الحرب ممتدة
بين مسقط الخرطوشة ومسقط الرصاصة

وما زالت القذائف تحفر أنفاقاً
بين نقطة انطلاقها ومحطتها النهائية
حاملة هداياها المشؤومة إلى الأعداء
رغم غيوم البعوض
ومداد المطر
ووحل الوساوس.
وهكذا واصَلَ الموت
فرأى ناراً تضيء الأعداء
وهم يأكلون مع الأصدقاء
فقال الجندي القتيل لنفسه
ما لهم يغادرون الخنادق مثل قيامةٍ مفاجئة؟
وبدلَ الشتائم يتبادلون الضباب؟
ما لعيونِهم تشبه حراشفَ السمك؟
ما للنار مستيقظة تحت بيرية الليل؟
وما الذي حوَّل النخيل إلى مداخن؟
ما للشاحنات تطلق الزفرات وهي ترتقي السفوح الزلقة؟
وأين ذَهَبَ الهواء الموبوء بالإشاعات والهوام؟
أين ذهبت الطوابير ذات الخطى المدويّة السائرة فوق مسطرة الفجر؟
أين جحافل البيانات؟ أين أنهار الصهيل؟
أين أفواج القوافي المطهَّمة التي اكتسحت الأعداء وهزَمَتْهم؟
وماذا حلَّ بالأدعية المرفرفة في سماء الخوف؟
أين الدمامل المتبخترة ذات النياشين والأشرطة والشوارب المُمْتَشَقة من أغمادها؟
أين العربات المدلَّاة من رقبة الجبل؟
أين الزمزميات-المباول؟ أين العلب-القَصَعات؟ أين الوسائد-الخوذات؟
أين الدبابات المُسَمَّنة في حظيرة المجد؟
لكنه فوجئ بفصيلِ إعدام يضرم النار في أهرام من الملابس العسكرية
ثم يَنْخسها بالحديد فتتقافز حِمْلانٌ مشوية

كشظايا من ثغاءٍ ودخان.
وما زال القتلى في انتظار الرب
كي يشق بصولجانه
نفقاً من الضياء
ليمر موكبهم المُجَلْجِل
بقرقعة تجهيزاتهم، وبساطيلهم المطيَّنة
إلى حدائق السماء
جيشاً عرمرماً من الجثث المترنحة
فقال الجندي القتيل لنفسه
إذنْ لأنتظرْ قطعةَ اللُبَان الهائلة
التي سينفخها الله في الفضاء
ويضيئها بألوان الطيف
وهي تحمل رقمي العسكري
وكنيتي وإضبارة ميتاتي القديمة
ولأواصلِ الموت وفياً لشرف الجندية
كالماء المراق في الزمزميات المثقَّبة.

مات الجندي
ماتت عيناه، وماتت شفتاه، وماتت يداه
ولكن أما زالَ الزلزال الذي تحته مؤجلاً؟
وهل سيدوم موته طويلاً؟
هل سيتبخر الماء من الدمع
مخلفاً الملح وحده؟
هل سيتدفأ المقرورون بلهاثهم قرب جثته
بينما تحلق عيناه في حوصلة الطير
وتتأملان الشمس وهي تتدحرج
ككرة الثلج على بساط الرمل؟
أم تراه سيموت ميتاتٍ عديدةً أخرى

قبل أن يستيقظ في النهاية
على بوق التعداد الصباحي؟

- **1995سياتل/ 2016 ممفيس**

عَفَن
صادق الطريحي

في كلّ نصّ مُمطرٍ
تتعفّنُ الأمطارُ في قَعرِ السّماءِ..
وتنزلُ السّحبُ الرّثيثةُ..
مثلَ أسمالِ الصّحفْ.
تتعفّنُ الأرضُ اليبابُ..
ونعبرُ الجسرَ المقامَ على الفراتِ..
ولستُ أبصرُ شاهدا.
يتعفّنُ المتنبّئونَ بدورةِ الأمطارِ..
أنّ خرائطَ الأنواءِ غامضةٌ..
وأبوابَ المجلّةِ مُغلقةْ.

×××

في كلّ نصّ قاتلٍ
يتعفّنُ القتلى،
وهُمْ يتبادلونَ مواضعَ الأديانِ..
أو صُحفَ المذاهبِ..
مؤمنينَ بربّهمْ.
يتعفّنُ العَسَسُ الذين يُحافظونَ على النّظامِ..
بسجنِ كلّ معارضٍ.
يتعفّنُ الشّهداءُ، إنَّ طريقَهُم زَلَقٌ..
وأوقاتَ الوصولِ إلى الجنانِ مُعلّقةْ.

×××

في كلّ نصّ جامعٍ
يتعفّنُ الرّجلُ الذي سيعيدُ تنظيم الدّخولِ..
لمسرحِ المتقاتلينَ على الثّغورِ،
فكلّما سَطَعَتْ حضارةُ أمّةٍ..
نَفَرتْ مِنَ الحُفراتِ ديدانُ النّصوصِ..
لتلعقَ الجيناتَ والفضلاتِ..
والجسرَ المقامَ على الفراتِ..
لتنتجَ الولدَ المدنّسَ بالرّصاصِ..
وكُلّما أفَلتْ حضارةُ أمّةٍ..
رَجعتْ مَعَ الدّيدانِ أنصالُ الرّمالِ..
فيلعقُ القرّاءُ كلّ مجلّةٍ متناسقةْ.

×××

في كلّ نصّ مُحْكمٍ
يَتعفّنُ الفُرقاءُ في آي الغنائِمِ..
بانْتظارِ عَطائهمْ.
تَتعفّنُ المُستشفياتُ؛..
لأنّها امتلأتْ بأرتالِ السّيوفْ.
يَتعفّنُ الكولونيلُ..
إنّ جميعَهُمْ..
مُتشابهونَ بسلبِ أثوابِ السّوادْ.
تَتَعفّنُ الأمشاجُ..
إنّ سلاسلَ الأحماضِ تالفةٌ..
وأرقامَ الخلايا مُحرَقةْ.

×××

في كلّ نصّ واضحٍ
يَتعفّنُ التأريخُ في الكُتبِ الجَديدةِ..
في رفوفِ المكتباتِ،
وفي القُمامةِ،..

كلّما رزَمَ المُعارضُ جثّةَ الشّهداءِ؛..
كي يحيا بسلطتهِ..
إمامًا
أو رئيسًا
أو منظّرَ فكرةِ.
×××
في كلّ نصّ تالفٍ
تَتَعفّنُ الأفكارُ..
إنّ صَناعةَ الأوثانِ شائعةٌ..
وأختامَ الرّقيقِ موثّقةْ.
×××
في كلّ نصّ شاملٍ
يتعفّنُ العُقداءُ في مُستوْدعاتِ سلاحِهمْ
يَتَعفّنونَ..
كمُضْغةٍ من نَسْلِ حيوانٍ عَقيمْ.
يتعفّنُ السّجناءُ منتظرينَ أوهامَ الظّهورْ،
يتعفّنونَ كمثلِ سجّانٍ ضَعيفْ.
تتعفّنُ الأحزابُ في طَبقِ المفاعلِ..
مُدْمجينَ بِلَغوهمْ،
يتعفّنونَ، كعنصرٍ صِفرَ المدارْ.
تتعفّنُ الفَضلاتُ في الدّربِ المؤدّي للحكومةِ،
والحكومةُ دائمًا تخشى الكتابةَ..
يكتبُ الشّعراءُ خوفَ إصابةِ الكلماتِ..
بالشّللِ الوراثيّ الخبيثْ.
يتعفّنُ الشّعراءُ في مقهى الوباءِ..
محاولينَ كتابةَ النّصّ الحديثْ.
يتعفّنُ الأعرابُ في بلديّةِ التّأويلِ..
إنّ مسالكَ الصّحراءِ ضَيّقةٌ..

وأحزابَ الكتابِ مُفرّقَةْ.

×××

في كلّ نصّ قادمٍ، أو سابقٍ
يتعفّنُ البدوُ الغزاةُ، مطأطئينَ رؤوسَهُمْ
يتعفّنُ المُتنازعونَ على السّوادِ..
يقاتِلونَ فَيقْتُلُونَ ويُقتَلُونَ..
ويُحرقُونَ مَراقدَ الفقراءِ..
ينْتهكونَ حُرْمةَ بابلَ العُظمى..
وينتهكونَ قانونَ المَسلّةِ..
يلعقونَ دِمَاءهُمْ
مُتعفّنينَ، كأنهُمْ أعجازُ نخلٍ خاويةْ.

8 مايس إلى 28 مايس، 2020
بابل

فاجعة الأخضر
وليد حسني

١ - امرأة العشب / فاجعة الأخضر

سأركض إليها كالبرق
أطارد عصافير رقبتها
أَجرُّ أسطورة شفتيها من بابونج نومها
تمتد يدي فأسحب زند الباب الخشبي نحوي
افتحه للخِراف الشقية تَدُوسُ على هيبة العشب
تحت أقدامها يثور النبات ويكثر الأخضر
ترخي على الماء ندوب المَطْرَة الأخيرة تُسْقِطُ ما تبقى من مدن اللَّهوِ واشتعالات العبث.
اهدأ
سترتاح الشمس قليلاً، وتذهب إلى حكمتها عذبةً طريةً ك حبات الفاكهة في سلالها.
تطير إلينا الريح التي نعرفها بعد قليل
تجعل من الصباح
شمالاً / جنوباً
شرقاً / غرباً،
حقلاً للفجيعة.
دوائر العذوبة تتجادل في جرح السماء وفي عنب الخطايا
تبث في الذاكرة أنامل الحنطة تمنح الضحى لغة الآدمية.
أيها الحنين الغاضب:
خَلِّيهَا قادمة من وصايا الأشجار، وأبصر الأرض، كيف تمضي الفؤوس

إلى الغابات؟
الكلاب إلى الصيد
الخيول إلى الحرب
والمدن إلى الموت...؟
وهذه المرأة تُقَلِّم ثيران قلبي، تغليها مع بابونج أحلامها ولهب الهذيان.
تفرد صدرها للبرق، تُعِيدُ الأرض للمجرة.

٢ -ملهاة الصيادين

الصيادون بالقرب من كمائنهم الشَّائِكَة بشفاه فخاخهم الغليظة والمخاتلة لا ينامون .
يعجُّون بأسرار الظلام، النافخون في حماة العروش وأزقتها، لا يستطيعون النوم إلا في عتمة بنادقهم الخلابة ، بنادقهم الذاهبة بهم إلى الطرائد،
يمركزون فتحات بواريدهم على حواف الحيطان، يطلقون كورال النشيد المخدر نحو مسافات ضيقة، يتناثر الريش الكسلان في مهب الحطام،
تتزحلق أقدامهم من أعلى أحجار المكيدة، تتهاوى الأغصان والأوراق وبذور الكينا، نحو متاهة الجفلة، ويسقطون كما لو انهم فاصل من أسطورة كردية.
الصيادون منكسرون، يعانون من النار بعد كل عصفور، يخبطون جُرزات الغيوم الخضراء كحبات الحمص الناشفة على شوكات الصخور، بقلبها الأحمر، ويحكون عن قصص الحب، وتاريخ الصيد، وذعر النجوم.
يمكنني القول إن الخوف ملهمُ الصيادين، وإن هذا الطوق السافل وهم خطاياهم، وحصتنا أكبر ... أكبر من خيطان ملتفة حول أرجل طائر القطا، ولا تلائم لغة ريشنا المتناثر.
يركضون حفاة خلف جحيم الغصون، بأيديهم عصا مرفوعة نحو السماء، تعجّ عيونهم بالبروق لا بالغبار.
أيها النافخون في أثداء العروش وزوايا حضيضها، العصافير لا تعلق من

أرجلها بخيطان الشك، العصافير تطير مع خيطان الضياء.
وهكذا....
نحن أرقام الصفحة الأولى / الخانقون.
تقول أمهاتنا الرزينات:
بعد أن نموت
لن نتعرف على الذي التهم صرخاتنا الخضراء .
تقول أمهاتنا الخائبات، وهن تجلسن الآن قدام الأبواب البراقة، على أرصفة العتمة، وخيطان أصابعهن ترتق أكْواع جاكيتات الخاكي:
كل الأشجار في هذا العالم بعيدة، والأيادي المتقمصة حناجر العصافير، مثقلة برسائل غامقة، وفحولة مجازفات التفصيل.

- **شاعر سوري كردي مقيم في ألمانيا**

لا تكن حذراً
لقمان محمود

[1]
هذا الحب لم يكن بهذه الشراسة
وأنا لم أكن بهذا الطيش
لكنني مشيتُ ومشيت
وتركتُ الوقت يمر وكأنه لا يعنيني
لكنّ شيئاً ما جعلني أنجو للأبد
وأنا مُغمض العينين وبدون أمل.
[2]
يستوقفني قلبي
حين تضيق الأرض على جهاتي
أنْ أتمهّلْ
إذنْ،
في الحب لا تكن حذراً
ولا تكترث للموت وهو خلفك
اذهبْ، اذهبْ، فإنك ذاهبٌ نحو الحياة.
[3]
ذات يوم أصبح الحب غامضاً
وتمّ اصطيادي وسط لهو الآلهة
آه،
أعرف أن هناك جروحاً في داخلي
لكنّ عقلي لا يكترث.

- **شاعر كردي - سوري مقيم في السويد**

وحيد نادر
ليست قصائد

[وحيد نادر شاعرٌ ومترجم وأستاذ جامعيّ من أصل سوريّ يعيش في ألمانيا. حاصل على جائزة الشّعر في الجامعات السوريّة عام 1978 وعلى جائزة معهد غوته للترجمة الاحترافيّة/معرض لايبزغ الدولي للكتاب عام 2012. عضو اتحاد الكتّاب الألمان ورابطة الكتّاب السوريّين، يكتب باللّغتين: العربيّة والألمانيّة ويترجم منهما وإليهما. له أربعة دواوين شعر وترجمات كثيرة.]

1
علّمتني قرويّتي الوعرة،
أنّ ثعلباً يطاردُ دجاجة، لا ليعرفَ متى ستبيض؟
وأنّ ذئباً يحتضنُ نعجةً، لا لأنّه يعشقها،
وأنّ نمراً يعتلي ظبيةً، لا ليمارس الجنسَ معها.

2
سألتني ربّةُ اللّيل: ما الفرقُ بينكما، أنتَ الذكرُ وأنت الشّاعر؟
أجابَها الصّبح: لا فرق، كلاهما يستيقظ طافحاً،
الأوّل بأنثى والآخرُ بكلمة.

3
من أغرب ما لم أكتبه، وكنت أتمنّى أن يوحى إليّ، قاله الأستاذُ في جامعةٍ مسلمة:
"يجوز للمرأة أن تمارسَ العادةَ السريّة في الجنّة، إذا كان زوجُها منشغلاً

عنها بالحور العين."
ثمّ رأى: "أنّ مؤمناً في الجنّة رغبَ أن يُمطر السَّحابُ نساءً، فأمطر."
قلتُ: كأنّي لا أرى على الأرض ما يخالف هذا الذي رآه الأستاذ في السماء.

4
لا جيوشَ ولا جحافلَ، في زحف الربيع هذا العام. فالنحلاتُ فُرادى والفراشاتُ اثنتان، أنا ثالث الاثنتين، رغم أنّي لا أفهمُ لغةَ حوارِهما الطائر ولا أعرف الفرق بين مفرد هذا المؤنّث ومثنّاه وجمعه، فكلّ الفراش فراش. "طيرانهما تجريدٌ، لأنّه رفيف"، أخبرني عبد المولى، أقصدُ صديقي علاء، وكنتُ أعتقد، أنّ الفراش موسيقى فقط، وأنّ السماء سماوات، وأنّ لا عبد للمولى ولا مولى للعبد، وأنّ لاعبد ولا مولى خارج نضرة ندْيهما ونداوتهما في موسيقى إسراء الصبح في عصير دوالي التجريد، هذا العري المخبوء في الشعر، هذا الحميميّ المحموم!

5
هي دنيا فعلاً،
رغم أنّ كلّ ما فوقها
أدنى منها.

6
ماذا تفعل بنحلةٍ حطّت على منقارك،
أنت نقّار الخشب الجريح في قبضة صيّاد؟
ماذا تفعل بعري امرأة في زنزانة،
وأنت لا تستطيع خلع الظلام عنها؟

7
بعدما وجدتُ للأشياء أمكنتَها
وللأماكن أشياءَها

ضعتُ.
بعدما أعدتُ الشّظايا إلى القذيفة
والأشلاء إلى الجسد،
وجدتُ نفسي حيث انفجرت،
في حفرتي.

8
"لم أترجم كاتباً إلاّ خنتُه،
لذلك امتنعتْ عليّ خيانة نفسي."
قلت لقصيدةٍ
رجتني أن أنقلها إلى لساني الثاني.

9
خمسون سنة في النار!
في السبعين اكتشفتُ منطق ما كتبته في العشرين:
"متِ الآن واربح الجنّة من أوّلها!"

10
لو خيّرتُ بين الآلهة، لاخترت آلهة الطغاة،
لا لأعبدها، بل لأحكمهم بها،
أو أحكمها بهم.

11
قال لي زمانٌ شاخ: ألا ترى معي، أنّ أغلب أنبيائنا يهود؟
قلتُ: عدا موسى.

12
كلّ مخيفٍ عدوٌّ،

حتّى لو كان إلهاً.

13
لا أتزوّجُ مسلماً، قالت الفتاة الهندوسيّة لشابّ شيعيّ،
رفضته امرأةٌ سنيّة قبل شهرين، لأنّه ليس مسلماً.
ما ألحدَ النّساء في الحبّ!

14
إذا ما تحرّكت الحيطانُ، فعلى النوافذ أن تقف، وإن تهافتت، فعليها إنقاذ ما تحتها.
أنا أتكلّم عن حيطان بيتي التي من زنبقٍ ونسيم.

15
سوف يرشدكَ الصوابُ إلى الوهم،
لو فقدتَهما.

16
الشّعرُ غيابُ العقل لحظة اكتماله،
و"الوحيُ كذلك"،
أسرّ شاعرٌ لنبيّ لحظة وحي.

17
انظر، بحيرة من طيور!
موجُ حصى.
والشّجر؟
لا أستطيع تسلّقَ الظلّ.
خلعتني وارتمتْ
بيني وبين الماء.

18
لا أرى دجاجة هنا!
وعراكَ الديكة؟
ضِغثُ حلم.

19
أشكّ، كي أكتشف سوريّتي.
لكنّك تعرف الـ (سو) و الـ (ري)؟
وأعرف كيف أضع (إل) ربّاً أمامهما.
ضع تاء التأنيث عجيزة ودوّر سلّمك الموسيقي!
يكفي، فقد اكتملت أركان الحرّ والحبّ والحرب.

20
كان مسالماً لدرجة لم تسمح له بإيذاء نفسه.

21
طار الزهر، عمَدَ السماء بالعطر، فهبطت وغطّتني، عمّد التراب بالألوان، فنهضت الأرض بي وطرت. حام الزهر وحطّ عليكِ، تعنقد على وجهك عشوشَ فرِح، شمّ أنفكِ، فار خلف أذنيكِ، أرسل شعرك، أحكم جدل جسدك حوله، غنّج عنقكِ فمالت الريح، ارتمى على صدركِ، سقاه لبن الحمْل، صلّى على بطنك فاحت سرّة روضتك، نفخَ أسفلها، روى بصراخ الولادة ثلج فخذيك، لبس قدميك وطار، طار الزهر.

شبابيكُ عشيقاتٍ منسيَّات
نمر سعدي – فلسطين

ضلَّلتنا نساءُ القصائدِ.. قايضنَ صلصالَ أقدامنا بالحرائقِ.. ما أشبهَ اليومَ بالأمسِ لولا اختلافُ الأشعَّةِ في كاميرا السائحينَ.. وما أشبهَ البحرَ بامرأةٍ زوَّجتْ زرقةَ الليلِ ظلَّ المحارةِ كي لا تكونَ الوصيَّةَ يوماً على نزوةِ اليابسةْ ما أشبهَ المطرَ الأنثويَّ بأيلولَ.. والماءَ في سرِّهِ بالعناقِ وشمسَ الظهيرةِ بالغيمةِ الشجريَّةِ والشِعرَ بالحُبِّ والحُبَّ بالحاسةِ السادسةْ .

سبعُ سجائرَ تكفيني لأُنادمَ هذا الليلَ وكرسيٌّ يتأرجحُ بين المعنى السريِّ وأشجارِ الحبقِ.. وتكفيني أوتارُ الماءُ لأكتبَ لامرأةٍ لا أعرفها أو تعرفني غزلاً حسيَّاً.. أو أصفَ عناقيدَ أُنوثتها في مرسمِ بيكاسو والمرحلةِ الزرقاءْ .

كأني الحصانُ الذي اكتهلَ.. الأُقحوانُ الذي شابَ في سُنبلاتِ الضفائرِ.. يوجعني صيفُ نافورةِ الضوءِ.. كحلُ الأغاني التي جرَّت القلبَ من يدهِ والقصيدةُ ظلٌّ على الأرضِ وامرأةٌ كلَّما رقصتْ مونيكا بلوتشي غارتْ من الوهجِ الأُرجوانيِّ في خصرها.. كيفَ لي أن أُعلِّمها أن تحبَّ بدونِ مقابلَ.. أو تقرأَ الآخرينَ بلا لغةٍ.. وتمرَّ مرورَ الحمامِ إلى الحلمِ.. أو كيفَ لي أن أُرمِّمَ ليلي بحبرِ أنوثتها؟ وأنا لستُ أكثرَ من قطرةٍ يا ليالي الشتاءِ ومن طائرٍ يا حياةُ يقشِّرُ عنكِ لحاءَ الألمْ لستُ أكثرَ من ذرَّةٍ يا براري الذئابِ أنامُ وحيداً لأنسى الهمومَ التي اندلعتْ فجأةً في ثيابي والحرائقُ في قاعِ قلبي تغنِّي وتكملُ رقصتها.. سوفَ أمضي لشأني وأكتبُ توقيعةً لنهارِ الخريفِ وأُخفي جروحيَ عن أعينِ الناسِ... بي طللٌ لا يرمِّمهُ مطلعٌ نرجسيٌّ المجازِ ولا شغفٌ بالوقوفِ .

السجائرُ لن تخونَ القلبَ فيها عطرُ رائحةٍ تُذكِّرُ بالحنينِ وبالشتاءِ برقصةِ امرأةِ القصيدةِ في العراءِ بعطرها المطريِّ أو عبقِ الترابِ تُذكِّرُ المنسيَّ بالليمونِ والنعناعِ في كفَّيْ حبيبتهِ بوردِ النارِ في شفتيهِ حينَ تلامسانِ شفاهها هيَ كاجتراحِ الحُبِّ كالمعنى المراوغِ حينَ يفلتُ طيرهُ من بينِ أيدينا نداءً ما خفيَّ الجرحِ يذهبُ للطفولةِ ساكناً في أجملِ الأشجارِ أو ورقِ الهواءِ .

وتقولُ: سوفَ يدلُّني قلبي عليكَ.. ويدلُّني صوتي على أثرِ العناقِ وقُبلةِ الأيدي.. السماءُ خفيضةٌ وأنا أطيرُ كأنني ورقٌ خريفيٌّ وأمشي خلف ظلِّ الليلِ.. أرقصُ في قصيدتكَ القصيرةِ مثلَ عاشقةٍ وأركضُ في المنامِ .

أكتبُ كعازفٍ متجوّلٍ يحملُ قلقَ سيورانَ في عينيهِ وتعبَ المعريِّ في قلبهِ كامرأةٍ ترقِّصُ أغصانَ الريحِ وتُلقي على وجهِ الليلِ قميصَ الشهوةِ * أستبدلُ تفَّاحةَ حواءَ بأثرِ قُبلةٍ على حجرٍ قصائدَ الغزلِ الحسيِّ بطفولةِ الشاعرِ المتشردَّةِ حبرَ الندمِ بأراجيحِ المطرِ الممتدَّةِ بينَ كوكبٍ وآخرَ الدواوينَ التي لا تُباعُ ولا تُشترى بالناياتِ التي تقطرُ من أصابعِ العذارى في حقلِ قطنٍ بعيدٍ ليلَ الأرقِ بشمسِ البحيرةِ الغبارَ بوردةِ الريحِ .

سأحتفظُ بنجمةٍ باردةٍ أنامُ تحتها كلَّما شعرتُ بالوحدةِ وحاجتي إلى التجوُّلِ في أزقَّةِ هديلِ الحمامِ سأحتفظُ بوصايا نساءٍ يعرفنَ جيّداً كيفَ يحتوينَ قصائدي الشريدةَ تحتَ المطرِ وكيفَ ينوّمنَ طفولاتِ الشعراءِ على وسائدِ صدورهنَّ الحنونةِ .

أُريدُ أن أحضنَ صوتكِ صوتكِ فقط أن أتخاصرَ معهُ في الشارعِ أن أُمسِّدهُ كما أفعلُ عادةً مع العصافيرِ الخريفيَّةِ وأنتِ تقولينَ لي: ماذا أفعلُ بقصائدِ حبِّكَ في هذا الشتاءِ؟ هل أتدفَّأُ عليها؟ أم أُسدِّدُ بها فاتورةَ البيتِ والكهرباءِ؟ .

هوَ لا يعرفُ أنها تحبهُ هيَ لا تعرفُ أنهُ يحبها منذُ سنةٍ ونصفٍ يختلفانِ على معنى كلمةِ صداقةٍ في الفيسبوك لم يكلِّمها ولم تكلِّمهُ إلا بالهواجسِ ليس

بينهما إلَّا بعضُ اللايكاتِ السريعةِ والتعليقاتِ الحياديَّةِ العابرةِ غريبٌ يحبُّ غريبةً تعاملُ حياتها كنادلةٍ في حانةٍ كلَّ ليلةٍ تحلمُ أنها تتجوَّلُ في مدينةٍ بلا ملامحَ وتبيعُ الحُبَّ على عربةٍ من سحابٍ في آخر الليل كلٌّ يأوي الى سريرهِ وقصيدتهِ بعد أن ينفضَ غبارَ الوهمِ الفضيَّ عن عينيهِ يشربُ كأسَ قهوتهِ المرَّةِ وسيجارتهُ الأخيرةَ وينامْ .

أقولُ لأنثى الريحِ: في الدمِ رغبةٌ تصلُّ.. وفي كفيَّ منها صدىً أعمى سيأتي خريفي بالذي تعرفينهُ وأمشي على ذرِّ الزجاجِ الذي يدمى هواءٌ غواياتي.. سرابٌ قصائدي فهل فضلةٌ في الكأسِ أشربها حلما؟ .

لستُ أملكُ شيئاً سوى أن أُخلِّصَ نفسيَ من نزواتِ ابنِ آوى الصغيرةِ في امرأةٍ هيَ لا تشبهُ الأُخرياتِ اللواتي إذا ما لمسنَ القصيدةَ صارتْ فراشةَ ماءٍ.. ولا لستُ أُتقنُ شيئاً سوى أن أُنادمَ ظلِّي وأكتبَ شِعراً على حجَرٍ في ممرِّ الرُعاةِ على الناي والعشبِ والمطرِ المتواصلِ.. فوقَ جناحِ الفراشةِ في زرقةِ الليلِ فوقَ يدي وعلى ورقِ التوتِ.. بوصلتي قُبلةٌ فوقَ خاصرةِ الريحِ أو ندمٌ حائرٌ في الغناءِ.

لستُ ذئباً وما كنتُ ظلَّاً لذئبْ ولكنني قد أشمُّ خطاكِ كأني أشمُّ عبيرَ السفرجلِ في أوَّلِ الليلِ.. أنسى طريقي إلى البيتِ لكنني سوفَ أحفظُ قلبكِ عن ظهرِ قلبْ .

قالتْ امرأتانِ: الفراشاتُ رزقُ الفقيرِ نصيبُ المُحبِّ الذي ليسَ يرضى بنصفِ العناقِ وشهدِ الطيورِ فماذا تُرى ينبغي أن أقولَ؟ الفراشةُ في خدرها اليومَ لكنني لا أرى في المرايا سوى ظلِّها فوقَ وردِ السريرِ .

لا شغلَ لي في هذا النهارِ سوى أن ألتقطَ ورقةَ وردةٍ خريفيَّةٍ من على الأرضِ وأجعلَ منها شفاهَ امرأةٍ تقرأُ في طوقِ الحمامةِ أو أتأمَّلَ غصنَ شجرةِ تفَّاحٍ نصفها يابسٌ وأتخيَّلهُ ذراعَ حبيبةٍ في روايةٍ لم تُكتبْ بعدُ تستندُ

على ظلِّ غيمةٍ في إحدى قصائدي وتنادي على طيفٍ في آخرِ الطريقِ ليساعدها على خلعِ قميصها الليمونيّ .

بي رغبةٌ للكتابةِ عن أيّ شيءٍ ولو كانَ قبضَ الهواءِ الخريفيّ أو قهوةَ البحرِ.. عن حجرٍ في ممرّ الأساطيرِ عن وردةٍ في تويجاتها نقشتْ وجهها امرأةٌ بالأظافرِ أو بنسيمِ التنهدِّ.. بي رغبةٌ أن أمسَّ جراحَ الربابةِ عندَ انكسارِ الظهيرةِ في نقطةِ الشغفِ الأُنثويَّةِ.. بي رغبةٌ أن أرى ما وراءِ ظلالِ السطورِ.. طريقَ النمالِ مشعشعةً في ظلامِ القرى وأن أتلمَّسَ ريحَ نباحِ الكلابِ البعيدةِ في آخرِ الحيّ.. أن أطردَ الموجَ من جسدِ العاشقاتِ وهنَّ يطرّزنَ غيمَ مناديلهنّ بألوانِ قوسِ قزحْ وعلى ورقِ الحورِ ينقشنَ أسماءهنَّ ويطلقنَ سربَ زغاريدهنَّ وراءَ الغمامِ .

- **شاعر فلسطيني يقيم في الجليل**

نقوشٌ على حجرِ الورد

نمر سعدي – فلسطين

شاهد ذكرياتكَ كلَّها
ندمٌ عليهِ دمٌ تناسلَ من غبارِ الطلعِ
سبعُ قصائدٍ لحبيبةٍ ثكلى وللغضبِ المقدَّسِ
وردةٌ جوريَّةٌ قد أصبحتْ حجراً
وبنتٌ وردةً جوريَّةً صارتْ
وماءٌ في إناءِ الحزنِ
أغنيةُ المسافرِ للمسافرِ
والعصافيرُ النحيلةُ في الخريفِ
وذكرياتُكَ... ذكرياتُكَ كلُّها...
أنا آسفٌ لا ذكرياتَ الآنَ لي
*
كم الساعةُ الآنَ؟ كم قلبُكِ الآنَ؟ والقلقُ البيولوجيُّ كمْ؟ نجمةٌ غيرُ مرئيَّةٍ في ثيابكِ.. فضيَّةٌ مثلُ دمعِ البحارِ مجرَّدةٌ من مرايا الصدى وحقيقيَّةٌ كالتفاتِ التماثيلِ نحوَ العدَمْ
كم الألمُ الآنَ يا قلبُ...
كمْ؟
*

يا مهاةَ فلسطينَ
يا فرسَ الزنبقِ الساحليّ
خذي ليلَ بارفانكِ المتوجّسَ مني
ومُرّي لكي أنحني
للقصيدةِ في لازوَرْدِ يديكِ المقدَّستينِ
خذي قمرَ الدمعِ والبرتقالِ لعينينِ كالزهرتينِ
خذي ما يقولُ الحصى لنحيبِ البحيراتِ
والاستعارةُ للقلقِ المطمئنِ
خذي من حنينيَ منديلَ ماءٍ
وكوفيَّةً لنعاسِ التماعاتِ شَعرِكِ
في ملكوتِ التمنّي
يا غزالةَ قلبي وشمسَ دمي
لستُ أكثرَ من شاعرٍ عابرٍ
كانَ يبكي على سفحِ غرناطةٍ وحدَهُ
حينَ هبَّ الغبارُ على الأقحوانِ
وكانَ يغنّي:
خذي آخرَ البحرِ يا بنتُ مني
*
لا أفسّرُ عمري سوى بإضاءةِ ليلكةٍ
في حديقةِ ليلكِ
أو بغموضِ حنيني إلى كلّ شيءٍ
وبالولهِ الأبيضِ المشتبهْ
آهِ سيَّدةَ الحبقِ الأنثويّ وسيَّدتي
انفرطَ القلبُ خلفيَ فوقَ طريقِ الغناءِ
وضاعَ ولم أنتبهْ
*
قلبي الآنَ يُوجعني
لأني لم أبُس أرضيَّةً ذهبيَّةً

تُفضي إلى السوقِ القديمِ
ولا مصاطبَ للرخامِ الحيّ
حولَ المسجدِ الأقصى..
ويوجعني كثيراً لا لأني
لم أزرها كلَّ أسبوعٍ
لأعرجَ في طريقِ الغيمِ والبَّخورِ
أو أمشي على دربٍ من الآلامِ
بل لهشاشةٍ بقصيدتي وفراشةٍ في القلبِ تدميني
إذا ما كنتُ خارجَ سورها الأزليّ
فالقدسُ القديمةُ أقربُ الطُرُقِ القليلةِ للسماءِ
وسِفرُ رؤيايَ الأخيرُ
وأوَّلُ الفرحِ الحقيقيّ المغمَّسِ بالبكاءْ
*
أيها المنتهى
سترى كيفَ تسقطُ أوراقُكَ الحجريَّةُ عن سدرةِ المشتهى
*
شوكةٌ واحدةْ
لم تزلْ تتثاءبُ في دمِ أفعى وفي قُبلةٍ مُرَّةٍ باردةْ
*
حيرةُ الهامشيّينَ ضوءٌ فقيرٌ
يضيءُ الرمادَ وكرمَ العنَبْ
ليعبرَ طيفُ خلاسيَّةٍ من أنينِ القصَبْ
*
الفوضى التي لا تمَّلُّ من الرقصِ داخلي
تريدُ مني أن أنسى كلَّ شيءٍ
أوَّلَ القصيدةِ وآخرَ الليلِ
ثرثرةَ النساءِ الغريباتِ في مكانٍ ما
أثرَ يدِ نجمةٍ على يدي

وهو يمتدُّ كالدانتيلا على شرفةِ العالمِ
قميصَ الفراشةِ الكستنائيَّ المشجَّرَ
حكاياتِ ألفِ ليلةٍ وليلةٍ
التفاصيلَ الصغيرةَ جداً لشاعرةٍ لا تكتبُ الشِعرَ
قدراً أخطأ قلبي وهو في الطريقِ لأغنيةٍ
قمراً شجَّ رأسي في الطفولةِ
الفوضى التي لا تمَّلُّ من الرقصِ
ترمي بكلِّ العشَّاقِ والشعراءِ المجهولينَ
الذينَ يسكنونَ جسدي إلى اليمِّ
وتشيرُ لي أن أعودَ إلى الحياةِ وحدي
*
أغلقْ كتابَ الليالي.. ما من امرأةٍ
كشهرزادَ.. أضاءَ العمرَ لي فمُها
تذوي أنوثتها العنقاءُ مطفأةً
لأنَّ قلبَ ابنِ آوى ليسَ يفهمُها
يا من تحوّلُ أحلى وردةٍ طلعتْ
لجمرةٍ يأسُكَ الشعريُّ يقضمُها
*
شِعري الحياديُّ لن يرقى إليكِ سوى
ندى وشاحٍ على صلصالكِ النضرِ
يقولُ بنتٌ بلونِ الماءِ.. يوجعني
حريرُها وعلى أجفانها قمري
بنتٌ بعمرِ فراشاتٍ مقدَّسةٍ
تطيرُ في الريحِ أو تغفو على الشجَرِ
بنتٌ كما يكتبُ الرائي قصيدتَهُ
لكي تنقِّطَ عشبَ الوجهِ بالمطَرِ
بنتٌ كخفقِ نيونِ القلبِ.. غامضةٌ
كنقشِ أنثى من الدفلى على حجَرِ

بنتٌ إذا وخزتها شوكةٌ كذِبٌ
تمرُّ فوقيَ آلافٌ من القُطُرِ
بحجمِ دمعةِ هذي الأرضِ.. موغلةٌ
في الصخرِ مثلُ خطى روحٍ على سفَرِ
بحريَّةُ القلبِ.. ماورديةٌ سكنتْ
شمسَ الترابِ.. فلسطينيَّةُ القدَرِ

قصائد مختارة للشاعرة
وداد نبي

1
أحبو منذ 20 عاما

أحبو منذ 20 عاماً باتجاه مفتاح حياتي
لأطرد منها الوجوه النيئة التي تتجول فيها مثل أشباح الحكايات، تدوس على ظلال خطواتي
وتمزق بسكينها الحاد الأمل
"إن أقفل خلفها الباب بالجراح القديمة"
تلك الوجوه التي تفوح برائحة البيض النيء، سمك السردين الميت، البول في المحطات، والكراهية
كل صباح أركضُ من الوجوه النيئة التي تملأ حياتي
أركض في كل الجهات
أود لو أطمرها مثل جثة حيوان متفسخ
في حدائق الذين جرحوني
فينمو فوقها العشب الأخضر والأقحوان
لكن عبثاً
في كل مكان تصنع لها بيتاً
الوجوه النيئة التي تفوح برائحة دمٍ قديم في معتقل
الوجوه النيئة التي تبتسم لي وأنا أقرأ الشِعر
وهي ترمي باب لغتي بالشفرات الحادة،
أجدها على وسائل التواصل الاجتماعي،

على الهاتف وفي طرود البريد، في رحلات السفر،
في العمل، في المحطات، في بيوت الأصدقاء وفي الحلم
في كل مكان أهرب إليه تخرج لي تلك الوجوه
كفأر حقل
تنهش ثماري وبذوري
تحفر عميقاً لتصل جذوري
تحفر أنفاقاً طويلة لها في نسع حياتي الأخضر
كل صباح أكنسها
من أرجوحة طفولتي
من مرايا البيت ونفاياته
لكنها مثل أحقاد قديمة
لا تموت

2

لو كان لي قلبُ حديقة

لو كان لي قلبُ حديقة
لأطلقتُ على الأشجارِ اسمكَ
لجعلتُ العشب ينمو تجاه منزلكَ
والأزهار البيضاء
تُضيء تلك المسافة المعتمة
بين قلبي وقلبكَ
لو كانَ لي قلبُ حديقة
لتركتُ زهرة خبّازي قرمزيّة
تنمو تحت حذاء جنديٍّ يصوّبُ
رصاصهُ لقلبِ طفلٍ
لدفعتهُ لرؤية الجمال الذي ينمو على الأرض
لربّما انحنى مرّةً لمشاهدة الجمال تحت قدميهِ

ونسي كيف يتم إطلاق النار على الأحياء
لو كانَ لي قلبُ حديقة
لصنعتُ من أشجارها أسرة ومقاعد للعشاقِ
لما تركتُ عاشقاً ينتظر بلا مقعد
لما تركتُ عاشقة بلا سريرٍ للحب
لما تركتُ خشب المحطات يصدأ في الانتظار
لو كانَ لي قلبُ حديقة
لمددتُ جذور أشجار الزان في هذه المدينة
نحو أشجار الزيتون في حديقة بيتنا بريف كوباني
لأسقيتُها ماء قلبي
لارتبطتُ بشجرة البرتقال المجاورة لنافذتي في حلب
وحدّثتها عن بلادٍ لا يقتل ناسها بعضاً
عن بلادٍ لا يموت أطفالها تحت الأنقاض
عن بلادٍ يكبرُ ناسها ويشيخون
يبيضُ شعرهم برفقة من يحبون
ويدفنون في مقابرٍ لائقة
لو كانَ لي قلبُ حديقة
لكنتُ خشب طاولتكَ
خشب سريركَ
خشب الكرسي الذي تجلسُ عليه في عملكَ
خشب أدوات مطبخكَ
خشب أرضية منزلكَ
خشب قسوة قلبكَ
لو كانَ لي قلبُ حديقة
لأحببتكَ بقلبِ ألف شجرة
وقلب ألف زهرة
وقلب ألف برعم عشبٍ بريّ
وقلبي هذا..

لو كانَ لي قلبُ حديقة
لحوّلتُ حديد العالم لأشجارٍ
فوحدها الحدائقُ لم تجرح قلب كائنٍ
وحدها الحدائق وقفت ضدّ الحروب
لو كانَ لي قلبُ حديقة
لجعلتُ جسدي عشباً لجسدكَ
نهدي رمّاناً ليدكَ
سرّتي كأسَ نبيذٍ أحمر لفمكَ
أذني طائرَ حبٍّ لقصائدكَ
وقصائدي..
أزهاراً تنمو على قبركَ
لألفِ عامٍ.. ويوم..

3

القهوة كعمل منزلي للوحدة

أصنعُ القهوة
أكثر عمل منزلي أجيدهُ كربةِ منزل
أصغي لرائحةِ المرارة وهي تغلي
كما تشبهُ تلك المرارة القديمة التي لدغت قلبي حينما غادرت البلاد منذ أكثر من عأمين
أُحركُ حبات البن المطحونة بملعقةِ القهوة الصغيرة بهدوءٍ
كما كنتُ أحركُ ستائر آخر منزل غادرتهُ
الحركةُ علامة مغادرة دائماً
الأشياء التي تبقى على حالها لا تغادر، تبقى ثابتة وأزلية في حياتنا
لكن الحركة تشي تلقائياً بفعلِ الرحيل والتغير

فإن نحركَ البن في قعرِ الركوة نحنُ نجهزهُ لمغادرة عالمهِ البدائي لشكلٍ آخر
أن نحركَ ستائر منازلنا قبيل مغادرتنا بخفةٍ تشبه الخفة التي يغادر فيها الرجال النساء
ولا ننظر وراءنا مرة أخرى.. فقط الستائر تبقى تتحركُ بهدوء كلما داعبتها الريحُ كآخر تذكارٍ من يدنا المغادرة.
اصنعُ القهوة أقل الأعمال المنزلية تعباً
وأضحك مع البن المطحون وهو يحدثني بهمهمةٍ لا يفهمها إلا الوحيدون
عن ذاكرة أخرى تضجُ بفناجين قهوة كانت تقدم على سرير الحب
عن فناجينِ قهوة تسرد قصص النميمة الصغيرة لنساء العائلة
عن فتوحات رجالها الغرامية، عن مدنٍ لها مزاج القهوة في ظهيراتِ تموز الحارقة
أفرغ القهوة في فنجاني الأبيض
اختار دائماً للقهوةِ لون البياض ليكسرُ حداد سواده الأزلي
الذي يغلفُ حياتنا ومدننا منذ سنوات
بياضٌ لهُ ابتسامة حُب لم يكتمل لفرط هشاشتهِ
أضعُ القهوة على طاولتي..
أصغي لأخي وهو يحدثني من مدينة حلب
عن الوضع الأمني والمعيشي الصعب.. عن منزلنا القديم وغرفتي وكتبي والغبار الذي عشش بكل زواياهُ «لقد تحول منزل العائلة إلى منزلٍ للوحدة«
عن سعر تذكرة السينما المرتفعة، السينما التي تستطيعُ أن تبصق في وجه الحروب
بقبلةٍ سينمائية أو ضحكة بطل فيلمٍ أمام النهر.
أرتشفُ أول رشفة من القهوة وأهمهم لأخي:
عليك أن تخرجَ من البلد
عليك أن تخرجَ من البلد
أضع فنجان القهوة أمامي

أنظرُ اليهِ وأبعدهُ.. لقد تجرعتُ ما يكفي من المرارة هذا النهار.

- **شاعرة كردية من سوريا، تعيش في ألمانيا**

الفتى الذي أدرك جسده بعتمةٍ مفرطةٍ
خالد أبو العلا

تمشي على نصف خوفها
تتسارع خطوات ظلها الذي أخطأه الضحك
وهو يتبع بكاءها عن كثبٍ
ينظر في عينيها
وسريعًا .. يبثها رماده الحزين
حتى يكتمل خوفها به
فتبطيء خطوها
وتتبع ظلها
بابتسامةٍ حذرةٍ
ونصفِ فرح.

هذا لونك المعتاد
حين تسكبينني في قنينة الوقت
أتهدل فيما بيننا من وجعٍ متبادلٍ
فإذا ما امتلأت بكِ
قلبتُ ساعتي الرملية
وأشعلتُ قوس قزح
في خرائط مشاكستي الحرة
لسطوة الفراغ.

أحسنتُ إلى سوء ظني
بقبلةٍ خاطفةٍ
فانهارتْ ممالكُ وحدتي
وصعدتُ إلى غرفة أُنسي
أُعلق جراحي على ثقوبٍ سوداء
انبعثتْ من شفتي
حين ارتشفتُكِ كاملةً
كأنك فألٌ حسنٌ
يبددني في ظني القاتم الفسيح.

ستعاودكِ الثرثرة
كامرأةٍ أسرفتْ في صمتها
ولم تلتفت إلى كلماتها التي بدأت تُنبتُ
ما يشبه القصيدة
ويستر عورتها بالكاد
تلك القائمة على شرفات الطين
في انتظاره يجيء
كشاعرٍ مجيدٍ
نسيتْهُ بالخطأ في عَلقة البكاء والحنين.

أنت بالكاد نصفها
هي أنت ...
كلك ونصف.

ستغمد فيك روحها
حتى تختلف أضلاعك في قبضة شبقٍ
تغلب جسدك
بارتعاشةٍ أولى
للفتى الذي أدرك جسده بعتمةٍ مفرطةٍ
وأدركته معجزات جسدها
فهتف بأعلى شهوته:
يا أنتِ
يا أنا المباركة.

ستمسك بصوتها
تتلمس بكارة أعضائكَ
تخلصكَ من غلافها السميك
فتبرأ من ترددها
تنشئ فيكَ مراودةً أولى
حتى يكتمل فيك نورها
بنصف حزنٍ
وخوفين كاملين.

ثقيلاً عليّ الصمت

غمكين مراد ـ سوريا

رأيتُ رُوحكِ فيَّ
وما رأيتُنِي
إنْ وَجَدتُنِي فيَّ
كُنتُكِ
عِشْتُكِ فيَّ
وتركتُنِي
خلقتُكِ فيَّ
وعشتُ المسافة وكُنتِنِي
في كُلِّ نُطقٍ
في كُلِّ خيالِ
كتبتُكِ بحبرِ دمي على صفحةِ رُوحي
وبرعشةِ الرُّوحِ
أيقظتُ الحياةَ لترفعَ هُدبَ ظِلُّكِ فيَّ
أثقلتُ على نَفْسِي كُلّ حياة الخيالِ في البُعدِ
لأعيشَ فيَّ كُلَّ ما هو لكِ ونسيتُنِي
بَعثَرتِنِي
ولممتُكِ
شتَتِنِي
وأوصلتُكِ
غادرتِنِي
وأسكنتُكِ

حملتُكِ
وانتظرتُني
أرَحْتُكِ
ونفيتُنِي
ركنتُ حياتي على هامِشِ العدم
وعاشتْنِي حياتُكِ
كرافعِ أثقالٍ تحت حياتي
كانت مشيئتي
مشيئتُكِ فيَّ
عشتُها كحبرٍ يُدوّنُ حياتي
كزقِّ خمرٍ من رُوح
سكرتُكِ بيَّ فيَّ
كرقصةِ طيرٍ تحت المطر
تلتمينَّ كريشٍ برُوحي فيَّ
كقيثارةٍ مقطوعةِ الوتر
أشدُّكِ بأوتارِ رُوحي
كبرقٍ سقطتِ عليَّ
وتفيأتْ تحت رُوحُكِ أوجاعُ قلبي
كفحمٍ تُشوى عليه الرُّوحُ
تَرَكَنِي البرقُ
وكجمرٍ أهويتُ بِحُبَّكِ قلبي
كتعويذةٍ للخلودِ عشتُ حُبَّكِ
مُستلذاً بالحرقِ من الجمرِ كنشوةٍ
وأبقيتُني كفحمٍ يُتركُ ولا يُجْذَبُ
كبرقٍ حضنتُكِ
كجمرٍ عشتُكِ
كفحمٍ داريتُكِ
أسرْتُنِي بسلاسلِ الحُبِّ من رُوحِكِ

علقتُنِي في الحُبِّ
أُرجُوحةً من أنفاسُكِ
بها مُعَلقةٌ روحُكِ تُبَلِّلُنِي ولا أنشفُ
كريحٍ مضيتُ بكِ فيَّ
أجوبُنِي جهةً وحيدة
أحمِّلُني بكِ فلا أرتجُّ
وأتنَفَسُنِي في كُلِّ تعبٍ فيكِ وبكِ
خفيفاً على الحياةِ
أمضيتُنِي وأنتِ فيَّ
ثقيلاً عليَّ الصمتُ
وأنتِ فيَّ
كموجٍ يلطمُ بحر قلبي
أنفاسُكِ فيَّ
هابِطاً
بكِ
منكِ
إليَّ
فيَّ.

- **سوريا**

ثلاث قصائد

عبد الحكيم البقريني ـ المغرب

زخات وزلات

وارتوينا...
تطهّرنا.
في الشوارع؛ نصبنا خيام الوداع.
في الدروب سرى الصّمت والماء..
وارتوينا...
تطهّرنا من خبيث الوعود.
إذ سرى السّيل في الأرض حرّا يلملم شظايا حضارة الغش.
ها هنا كنا نمشي...
ها هنا عدنا نعشق السباحة.
وارتوينا...
تطهّرنا.

حالة استنفار

في الشوارع عُلِّقت الذكرى، وهناك جري الوادي.
إذ سرى يعبر الدّربَ فالدرب...
ماء عدنا...
غدا الماء حالة كنا قُبيل القصيدة.
في الشوارع ذكرى ودمعة على خدّ أمٍّ، وعاشقة البحر.
وحدها الحاضرة غائبة تحت دمعة...

وفي صمتها نحيا، لنموت غدا.
في الشوارع، لا صوت يصدى
خرير... خرير.
خر...ير...
خر...ير...

زحنة [2]

ما مضينا...
طردنا وفي أيدينا بقايا الجفاء.
ما حملنا فطيرا، ولا أقمشة.
ودّعنا المكان إذ حملنا جوارب ماء ودمعة.
بخُطىً صدّها الإسفلت المبلل سرنا لنُروى
ونَرْوي حكايات شارع يعبره القارب.
أجل:
ها هنا كان أحمد يجلس صبحا مع العاشقة.
ما مضينا...
طردنا وفي القلب حسرة..
وبالعين دمعة.

[2] **قافلة، أو: حرّ شديد**

الإنسان فريسةٌ للصور

محمد ديب[3]

ترجمة: حكيم ميلود

تلتقط الفوطوغرافيا اللحظةَ وتُثَبِّتُها إلى الأبد. هنا تكمن المأساة: إنّها تُجَفِّفُ الزمن وهو تعبير عن الحياة. تُجَفِّفُ كلّ ما يتدفَّقُ، ويسيل، ويَعْبُرُ، وما يجب أن يسيل، ويعبر- ومِنْ ثمَّ لا يعود إلى السيلان والعبور.

هذا العالم ذو المجرى المتغيّر، والمُتَمَوّج، وغير الأكيد الّذي هو عالمنا، تلتقطه عدسة التصوير، وهكذا يكون مأخوذا بالزمن، ويبقى ممتنعا، متجَمِّدًا في موضوعيته. تَنْذُرُ الفوطوغرافيا التي تستولي عليه، هذا العالم للثُّقْبِ الأسود لما يبقى ثابتا.

غير أنّه لا الصورة التي تمثِّلني هي أنا، ولا تلك التي تمنحني مشهد الطبيعة لا الطبيعة. لا أنا ولا الطبيعة نتعرَّفُ علينا فيها؛ أكثر من ذلك، إنها تسلبنا، أنا، عن أناي، والطبيعة عن نفسها. إنّها تُعَطِّل القوى التي تسعى لجعلنا موجودين، وتُحَجِّرُ فضلا عن ذلك عمل الذاكرة وكذا النفس.

في نهاية المطاف تصبح الفوطوغرافيا ذاكرةً لنا ونَفْسًا، ويكون محكوما علينا فقط بمقياس ووزن فيلْمٍ، أو امتحان- اتصالٍ.

لا يمكن لصورة فوطوغرافية أن تعيد لي الصورة التي أحتفظ بها في ذاكرتي عن شخص أو مكان. وما أراه فيها مُسْتَنْسَخًا، يبقى غريبا عليّ، لا تواصل بيننا تماما. ولا توجد هذه الصورة إلا في شكلِ كُنْهٍ مغلق على نفسه، لا تُمَثِّلُ إلاّ ذاتها.

---

[3] **محمد ديب:** شاعر وروائي جزائري يكتب بالفرنسية. 1920 – 2003 **وحكيم ميلود** شاعر ومترجم جزائري ترجم الأعمال الشعرية الكاملة لمحمد ديب.

الصورةُ مصابةٌ بالتوحّد.

حتّى و إن كان هناك تواصلٌ، فإنّه يكون منخرطا في سوء فهمٍ ما هو وما عليّ أن أعترف به ويُفْتَرَضُ أنّه مُسَلَّمٌ به. في هذه الحالة، أنا ألعب اللعبةَ اللاّواعية المنافقة لمن يرى لا ما هو موجود، لكن ما عليه أن يراه- أو ما يعرضه على ما يراه.

للمُخَيِّلة بالتأكيد الحرية في أن تجد ذريعة كي تتدرّب، وتأخذ فسحة وحتّى وهي تنعطف نحو آفاق أخرى، تفرُّ هربًا.

تشهد الصورة الفوطوغرافية على الواقع من دوني، حتّى وإن ظهرت فيها. لكن أيّ واقع هو هذا الواقع ذو الحِبِلَّة الخارجيّة، هذا الواقع الّذي يمنح الانطباع الهزلي والمُقْلِق أنّه مملوء بالأشباح؟ يُفْرِغُ النّاسَ و الأشياءَ من الحياة، و يُجَمِّدُهُم إلى الأبد، ما هو إذن؟

من ينظر إليَّ عندما أنظر إلى صورة فوطوغرافية: العدم الّذي يأخُذُ سحنةً، ويضع عليها رأسًا كي يواجهني. الأكيد أنّ العالم بيتٌ مسكون بالأشباح، لكن مع ذلك وبالمقابل لا شك أن الكليشي هو القناع الّذي يتفحّصُنا لامَعْناهُ .

إنّ صورة فوطوغرافية لا تُتيح لنا أن نرى العالم: هي مرآةٌ، لا تعيد منه سوى المظهر، ولا تخلق سوى دائرة افتراضيّة من الانعكاسات حول الإنسان. أورفيوس الّذي أهمل نفسه نزل إلى العالم السفلي، لكي يعود من هناك بيوريديس وفي الختام لم يكن إلا تائها بين الأرواح. وكذا الإنسان في معاناته. الإنسان الّذي مِن شدّة الرغبة في معرفة العالم وساحاته الخلفية بواسطة الصورة، يغرق في جحيم المظاهر الخادعة.

عندما نقف أمام عدسة التصوير، على من نعْرِضُ أنفُسَنا؟ من له أن يعرف؟ على العدم. على شيء يشبه نظرة موتنا.

لِنتأمّل أنفسنا ونحن ننظر إلى صورتنا الشخصية ما أن نسحبها والانطباع بأنّها تتخلّص منّا: فوقنا، ما يشبه أحداقا انغلَقَتْ ومع ذلك، فهي في الوقت نفسه كتِيمةٌ ونصفُ شفّافةٍ، تترك دائما النظرة التي تأويها تتسرَّبُ، وتواصل حَدْجَنا. عن الباقي...

لا شيء يُفَرِّقُ بين صورة فوطوغرافية مأخوذَة لنا، ونحن أحياء، عن

صورة فوطوغرافية لنا ونحن أموات. تُؤَكِّد ذلك الصورة المأخوذة في المشرحة وهي تشهد على خاتمة لا تُتَجاوَزُ.

يجد فن الفوطوغرافيا ثَمَّةَ تَتْويجَهُ، ويكون في أوج قمّته.

لهذا السبب تخدع الفوطوغرافيا خاصيّةَ كونِها شيئًا فتيشيًّا. ما هو الشيء الفتيشي؟ إنّه الشيء الّذي يُجَمِّعُ مِنْ بين ممتلكاته خاصيّة ربط علاقات مع قوى خفيّة، وعوالم الأسرار والموت، التي يُصْبح علامتها وحاملها. لا ريب أنّ هذا التعريف لا ينطبق على الفوطوغرافيا، ولا ريب أنّ هذه الأخيرة لا توقظ الغريزة الفتيشيّة للإنسان، ولا تستجيب لحاجته الفتيشية في الحصول على قسط من هذه القدرة.

ما علينا سوى أن نتأمّل العناية والاحترام اللّذين نحيط بهما صورنا الفوطوغرافية؛ أو الاستخدامات، سواء في السحر الأسود أو السحر الأبيض، التي يسخِّرها لها بعْضُنا؛ أو لهذا الاستعمال المتداول الّذي يجعلها توضَع على شواهد القبور، كما لو أنّها ستسهر على المتوفّي العزيز في حياته اللاحقة وتُسْتَعْمَلُ في الوقت نفسه وسيلةً للتواصل معه.

البصّاصُ السّفيه والتدنيس الّذي ينام في الإنسان لن يستطيع أبدا أن يستغني عن الصُّور.

تَتِمَّةٌ

من أجل المعرض، المُنَظَّم من طرف متحف **غيغنهايم (نيويورك)** سنة 1996، لبعض الصور الفوطوغرافية التي أخذْتُها في مدينتي الجميلة تلمسان سنة1946، كان لي أن أجيب على استفسارٍ.

وهذه إجاباتي:

1- لا شيء في طفولتي ولا فيما بعد كان يُهَيُّئني لأصبح مُصَوِّرًا فوطوغرافيا. ابتداءً من عامي الثاني عشر، بدأتُ بالفعل في الرسم، وسنوات بعد ذلك في الكتابة؛ غير أنّ الأمر ليس نفسه. زد على ذلك أنّني تركت الرّسم شيئا فشيئا كي أتفرّغ للكتابة، حتّى يومنا هذا.

2- ما هو أكيد، أنّني كائنٌ بصريٌّ، عينٌ. يظهر ذلك في كتاباتي مهما كان النوع المكتوب: قصيدة، رواية، قصة. لكنني لم أقم بالتصوير الفوطوغرافي

إلا في مناسبات ولم آخذ الكليشيهات التي اكتشفتموها في كتاب: **تلمسان أو منازل الكتابة** سوى لأنّ صديقا أعارني في تلك الفترة آلة تصوير من نوع رولايفليكس. وفي ذلك الوقت لم يكن لدي حتّى ثمن شراء فيلم التصوير.

3- لم أصبح أبدا مصوّرًا فوطوغرافيا مثلما يمكنكم أن تستنتجوا ذلك ممّا سبق.

4- و هكذا لم آخذ أبدا دروسا في التصوير الفوطوغرافي.

5- قلت هذا سابقا في إجابتي الأولى: أنا كائنٌ بصريٌّ، عينٌ كبيرةٌ مفتوحةٌ.

6- في شبابي الأوّل، نظّمتُ معارض لرسوماتي، لا للصور الفوطوغرافية. فقط في السنة الماضية نظَّمَ ناشري لكتاب: **تلمسان أو منازل الكتابة،** معارض لم أرها، بالصور الموجودة في هذا الكتاب، في بعض المدن الفرنسية والإفريقية.

في الفن الشعريّ
أنطولوجيا حول فنّ الشعر
اختارها وترجمها: محمد خطّاب

أليخاندرا بيثارنيك Alejandra Pizarnik
خلاص

***

"هاربةً من الجزيرة
تتهيّأ الفتاةُ لارتقاء الرّيحِ
واكتشافِ مَوتِ الطّائرِ النبيّ
الآنَ
هي النارُ المُذعِنَةُ
الآنَ
هو اللّحمُ
الورقةُ
الحَجَرُ
تَائِهِينَ في نَبْعِ الوَجَعِ
مثلُ المُبْحِرِ في رُعبِ الحَضَارَةِ
الذي يُطَهِّرُ هُبُوطَ اللّيلِ
الآنَ
وَجدتِ الفتاةُ قناعَ اللّانهائي
وهَشَّمتْ جِدارَ الشِّعرِ"

***

إيدا بيتالي Ida Vitale

بَقِيَّةٌ

***

"سواء أكانت الحياةُ قصيرةً أم مديدةً
كلُّ ما نحياهُ مختزلٌ
في بقية رمادية بالذاكرة.
أسفارٌ قديمةٌ تحتفظُ
بعملات عجيبة
تكشف قيما مزيفةً.
لا ينكشف من الذاكرة
سوى غبار مبهم وعطر.
هل هذا من الشعر؟"

***

أوكتافيو باث Octavio Paz

«بين ما أراه وما أقوله،
بين ما أقوله وما أكتمه،
بين ما أكتمه وما أحلم به،
بين ما أحلم به وما أنساه،
يوجد الشعر.
إنه ينزلق
بين النعم واللا
يقول
ما أكتمه
ويكتم
ما أقوله
إنه يحلم
بما أنساه،
الشعر ليس قولا:

إنه اشتغال
الشعر يقال ويُسمع
إنه واقعي
وبالكاد أقول «إنه واقعي»
إنه يتبدد
هل هو واقعي أكثر من ذلك؟»
***

ألان بوسكيه Alain Bosquet
نجدة النثر

***

"يخمد في داخلي الشعر شيئا فشيئا،
سوى الآحاد،
حيث ألقي لها،
حطبا ميتا، كلمات بلا عمل.
حينها أرى جلاء
بعض الطيور التي تشكو
كونها بجناح وحيد.
زهرة تتفتح
على جذوة شاحبة.
ولكني لا ألح أبدا، تظل الكلمات ميتة - وليدة.
أغفو أسفل كتابي
وأصير أثاثا،
وسجادا أخرس.
أريدني بلا اسم
مثل نثر بلا غموض."
***

أنا بلونديانا Ana Blandiana

قطعة موسيقية

" يكتبُ الوقتُ على جسدي أبياتا من الشِعر
كثيرةَ الاضطراب
غيرَ مقروءة تقريبا،
ويَخطُّ على جلدي بعضَ الأفكار
من دون أن آذن له.
الحروفُ طويلةٌ، وملتويةٌ، ورائعةٌ
يحيطُها حول عنقي،
يضعُ خربشات على عيني،
ويثخن على حواف شفتي
خطوطا رهيفة،
ومثلما يحدثُ في نهاية قطعةٍ موسيقيةٍ
يَضعُ توقيعا دائريا على جبيني،
من دون أن يعترف
لأيّ هدف
يريدُ من خلالي أن يبعثَ
هذه الرسائل
وعليه
أن يقرأني
ويمنحني جوابا."

***

إلدا ميريني Alda Merini

"لستُ بحاجة إلى المال.
أنا بحاجة إلى العواطف،
إلى الكلمات، إلى الكلمات المختارة بعناية،
إلى ورود شبيهة بالأفكار،
وإلى زهور تشبه الوجودات،

إلى الأحلام الجاثمة على الأشجار،
إلى أغانٍ ترقصُ لها التماثيلُ،
إلى نجومٍ تتمتمُ في آذان العشاق.
أنا بحاجة إلى الشِّعْرِ،
هذا السحرُ الذي يخففُ ثقلَ الكلمات،
والذي يوقظُ العواطفَ ويَهَبُ ألوانا جديدة.»
***

شعرية

آرثر لوندفيست

***

"لماذا لا يَحْبُو الشِّعرُ أدنى تحت الشمس؟
مثل طائرِ السُّمّان يداري الخطرَ
قبل أن يتهيأ لتحليقٍ مباغتٍ؟
لماذا لا يكونُ مثلَ باقةِ أرجوانٍ
ملقاةٍ في عربةِ يَدٍ تلطخت الآن بالقار؟
أو هذا القليل من الثلج الذي يذوب باليد الوردية للطفلة؟
السنونو الذي يترك ثلما على الجدار؟
الوردة التي تَفُضُّ خَتْمَ حَجَرٍ؟
صدعان يتقاطعان بنافذة.
الشِّعر: شيطانٌ بريءٌ،
خرفان من نار وسط المروج،
سلوقي أسيرٌ في ملاءة.
المرآةُ التي فَنِي أمامها مالكٌ الحزينُ،
مثلُ مِظَلّةٍ غريقةٍ في الإعصار.
رمالٌ شديدةُ البياض كبطن امرأة في ملء البحر.
طحلبٌ شاحبٌ في فم الكلب.
شوكةُ النسرين لإفساد رأس أسدٍ.
غواصٌ بأعماق المياه، فاتحا علبةً بمشبك الشَّعْرِ.

مسمارٌ لإمساك طائرات بالفضاء.
سفينةُ مهربين تنزف بالماء مثل حيوان جريح.
الشِّعرُ:
حبلُ غسيلٍ ممدودٍ بين المنارة وشجرة الكرز."
***

نيكيفوروس فريتاكوس Nikiforos Vrettakos

حوار مع الشعر

***

"لقد عدْتَ أيّها الشِّعرُ. استطعتَ أن تكشفَ
بداخلي عظْما لم ينصهر بعدُ.
طيةً بقلبي لم تستحل إلى موجة.
عرقا سليما بإحدى أصابعي.
نسيجا لم يتحول بعد إلى دودة.

غدا، ونحن نرى العالم، سنعرف:
أنك فرّقتني جيدا. وخلقتَ مني
ألفَ بارقةٍ، ثم نثرتني."

قصائد جديدة للشاعر الصربي فاسكو بوبا
ترجمة حيدر الكعبي

•أُلْفة

لا تحاولي إغوائي
أيتها القبة الزرقاء
أنا لا أمزح
أنتِ قبةُ اللهاةِ العطشى
فوق رأسي
وأنتَ يا شريطَ الفضاء
لا تلتفَّ حول ساقيَّ
لا تحاول أن تَسْحَرَني
فأنتَ لسانٌ مستيقظ
لسان بسبعة فروع
تحتَ خطواتي
لن أجيء
يا أنفاسي البريئة
يا أنفاسي العديمة الأنفاس
لا تحاولي أن تُسْكريني
فأنا أحسُّ بأنفاس الوحش
أنا لا أمزح
أسمعُ ٱشتباكَ الكلاب المألوفَ بعضَها ببعض
أسمعُ ٱصطكاكَ الأسنان بعضَها ببعض

أَشْعُرُ بظُلمة الفكَّين
تَفتحُ عينيّ
فأرى
أنا أرى
أنا لا أحلم

•حوار

لماذا تهبُّ واقفاً
وتَهْجُرُ السواحلَ الغضة
لماذا يا دمي
إلى أين ينبغي أن أبعثَ بك
إلى الشمس
أتظن الشمسَ تُقَبِّلُكَ
ليست لديك أيةُ فكرة
يا نهري الدفين
إنكِ تؤلمينني
وأنتِ تحملين بعيداً
عِصِيّي وأحجاري
ماذا دهاكِ يا دوامتي
إنكَ تُفسِد دائرتي اللانهائية
التي لم نُكملْ بناءَها بعدُ
يا تنّيني الأحمر
فَقَطِ ٱجْرِ بعيداً
لكيلا تنجرفَ الأقدامُ معك
اِجْرِ أبعدَ ما يُمكنك
يا دمي

•شجرة التفاح الحديدية

أين راحةُ البال
راحةُ البال التي لا تُكَدَّر
شجرة التفاح الحديدية
طَعَنَتْ جمجمتي بغصنِها
أقضِمُها
فينقضِمُ فكَّاي
بأوراقها تُكبِّلني
ألتهمُ الأوراق
فتُلتَهمُ شفتاي
بأغصانها تقيّدني
أحاول أن أكسرَ الأغصان
فتنكسر أصابعي
أين راحة البال
راحة البال التي لا تنكسر
شجرة التفاح الحديدية
أنزلتْ جذورَها
في أعماق صخرتي الليّنة
أسحبُ الجذور
فتنسحبُ أمعائي
بثمرتها الفظَّة تُسْمِنُني
أَثْقُبُ الثمرةَ
فينثقبُ مُخِّي
أين راحة البال
حين تكون أوَّلَ الصدأِ وآخِرَ الخريف
لشجرة التفاح الحديدية
أين راحةُ البال أينها

•رِحلة

إنني أَرْحَلُ
والطريق يرحل أيضاً
الطريق يُطْلِقُ زَفْرَةً
زفرةً سوداءَ عميقة
لا وقتَ لديَّ للزفير
فأرحلُ أبعد
لا أعود أتعثر
بالأحجار النائمة على الطريق
فأرحل أخفَّ
لا تعود الرياح العاطلة
تُبْطئُ مسيري بثرثرتها
فكأنها لا تراني
فأرحلُ أسرعَ
أفكاري تُخْبِرني
أنني تركتُ ورائي
ألماً بغيضاً مُلِحَّاً
في أعماق الهاوية
لا وقتَ لديَّ للتفكير
فأرحل

•في التنهيدة

على آمتداد الطريق من أعماق روحي
على آمتداد الطريق الأزرق المسودّ
تسافر الأعشابُ الضارة
فيختفي الطريق
تحت خطواتها
حشودٌ من الأسَل

تَعِيْثُ بالحبوب فساداً
فتختفي أخاديدُ الحَرْث
من الحقل
شفاهٌ لامرئية
تمحو الحقلَ محواً
المدى السعيد
يتأمل يديه الناعمتين
الناعمتين الرماديتين

•على الجدار

منذ أَمَدٍ طويل
ذابَ البياضُ الأول
تجاعيدُ الزمن
تتبرعم
على البراري الباذخة
حقلٌ لم يَحْظَ بقُبلة
تكويناتٌ كسول
متنكرة
في جِزَّة الدَّهشة
لعبةٌ لم تُلعب بعد
فيضانٌ بمئة رأس
في المرعى الأبدي

•على اليد

على الرمال المتحركة
تقاطعاتُ الطُّرُقِ الخرساء
تنتابُها الحَيْرة
في كلِّ تقاطع

نظرةٌ مستفهمة
تحولتْ إلى عمودٍ صخري
صحراءٌ وردية
لكنَّ كلَّ ما يأتي إليها
يتفجَّر براعمَ مليئةً بالإحساس
يتفجَّر أزهاراً مُفْعَمَةً بالأمل
ربيعٌ فريد
أم سرابٌ مبارك

•في الابتسامة

في زوايا الشفتين
ظَهَرَ شعاعٌ ذهبيّ
أمواجٌ تَحْلُمُ
في أدغالٍ من اللهب
مسافاتٌ بعيونٍ زُرْق
تلفلفتْ كالكرة
الظهيرة تَنْضَجُ بسلام
في قلبِ منتصفِ الليل
الصواعقُ الداجنة تَئِزُّ
فوق أوراقِ الصمت

---

* **فاسكو بوبا** شاعر صربي ولد في يوغسلافيا في 29 تموز 1922. أصدر الكتب الشعرية التالية: لحاء (1953)، حقل الاضطرابات (1956)، سماء ثانوية (1968) الأرض المنتصبة (1972)، ملح الذئب، اللحم النيّئ، البيت الواقع على الطريق السريع (1975)، والقَطْع (1986)، إضافة إلى مسودة مجموعة تاسعة بعنوان (الحديقة الحديدية). كذلك أصدر ثلاث مجموعات من الشعر الصربي الفولكلوري هي: التفاحة الذهبية (1958)، المرح الصاخب (1960)، وشمس منتصف الليل (1962). توفي بسرطان الرئة في بلغراد في 5 كانون الثاني 1991.

**** عن الترجمة الإنكليزية لآن بننغتون.**

راينر بوناك Reiner Bonack
ما زلت أسمع بعضاً من شوبان أحياناً

قصائد اختارها وترجمها عن الألمانيّة وقدّم لها: وحيد نادر

تقديم وذكريات

أن يعلّمك ويبقى زميلاً وصديقاً، وأن تستمرّ صداقتكما إلى اليوم ما يقرب من أربعين عاماً، بل أن يشعرك أحياناً في بعض حديثه، أنّه يتعلّم منك، فيقدّمك ويقدّم كتبك الجديدة للجمهور، يكتب عنك وعن منشوراتك ويهديك قصائد كتبها لك ونشرها في كتبه، كما فعل ويفعل الشاعر راينر بوناك، فذلك حلم لا يستطيع المرء أن يعيشه في العمر مرّات كثيرة.
أهداني راينر بوناك قصيدة (تعليق)، والتي أترجمها وأنشرها هنا، ليغمرني ودّاً بمديحه، حين يضعني في مقارنة غير مباشرة بكتّاب أو فنّانين إغريق كبار، أو حين يعيد بكلماتي إحياء عشّ قبّرة التهمته المحرقة السوريّة في ظلال ريحانة تحترق، وتلك قصيدة كنتُ قد نشرتها في أحد دواويني الألمانيّة الصادرة في برلين قبل سنوات. كلّ هذا هو راينر بوناك، وهذا ما تحمله علاقتنا الطويلة في طيّات أيّامها وسنواتها أيضاً، فهي مازالت تُنضج في حاضرها ذكريات تعاوننا الأدبيّ أيّام ألمانيا الشرقيّة، ثمّ تعبر معنا الوحدة الحديثة، فتعبرنا أيضاً وتحطّ فينا ثانية ودائماً في نفس المدينة التي تعرفُنا وتعرف كلّ حرف كتبناه ونكتبه، فهي دمه، هي ماجديبورغ أو "برج المجد"، كما أسمّيها في أحد نصوصي، هي عاصمة ولاية ساكسونيا أنهالت.

راينر بوناك شاعر وقاصّ ألمانيّ من مواليد زينفتن بيرغ 1951، بلدة تتبع اليوم إلى ولاية براندنبورغ. لكنّ الشّاعر يعيش منذ عشرات السنين في ماجدبيورغ. تعلّم في صباه مهنة التشغيل الميكانيكيّ، ليمارس فيما بعد مهناً عديدة، قبل أن يدرس بين عامي 1976 و 1979 في المعهد العالي للآداب "يوهانّز ر. بيشر" في لايبزغ ويتّخذ بعد ذلك الأدب مهنة بصفته "كاتباً مستقلاً" حوالي اثني عشر عاماً، وهي الأعوام الأخيرة من عمر ألمانيا الشرقيّة.

بعد الوحدة عام 1990 اشتغل الشاعر في الصحافة والمسرح وفي مكتبة ماجدبيورغ المركزيّة، حيث حرّر هنا أنطلوجيا "ساحة الحدث ماجدبيورغ". كما عمل مسؤولاً عن العلاقات العامّة والتخطيط الثقافيّ الميدانيّ في مركز "ثقافة الأجيال".

أصدر الشّاعر راينر بوناك حوالي عشرين كتاباً في الشّعر والقصّة وأدب الأطفال والترجمة. فهو معجبٌ بالشّعر الدانماركيّ عارفٌ للغته، ولهذا يقضي أوقاتاً طويلة في الدانمارك مفتوناً بثقافتها وطبيعتها، فتنة قادته إلى ترجمة حقبة كاملة قدّم لنا فيها المئتي سنة الأخيرة من الإنتاج الشعريّ الدانماركيّ.

راينر بوناك شاعر هايكو له شهرته، لذلك مُنح جائزة الهايكو "ركن البومة" عام 1995.

كان الشاعر راينر بوناك، يوم تعرّفت به عام 1986، يشرف على الورشة الأدبيّة ويدير فعّاليّاتها، تلك التي قبِلتني فيما بعد عضواً فيها، لأخطو هناك أولى مسافاتي المتّئدة في كتابة النصّ الشعريّ باللّغة الألمانيّة. كانت الورشة تتبع معملَ الجرّارات الضخم في مدينة شوينيبك/قرب ماجدبيورغ، لذلك موّل المصنع آنذاك نشاطات ورشتنا ومشاركاتنا الأدبيّة وأعمالنا الفنيّة. في ذلك العام التقيت راينر بوناك أوّل مرّة، وتراءى لي أنّي أعرفه منذ زمنٍ طويل. روحٌ صدوقة صادقة في زميل ورفيق درب ومعلّم، كلّ ذلك في شاعر، رغم الاعتقاد السائد، بأنّ الشعراء ذوو نزوات وأرواح نزقة غالباً، وذلك ما تقوله أيضاً بعض خبرة حياتيّة عاشها كثيرون منّا! لكنّ راينر

بوناك من طينة مختلفة، فقد كان من ذلك النوع الإنسانيّ المعجون بالمحبّة والانتماء للكون، كلّ الكون، كان من طبيعة قادمة من الريف وجوّ العمل والعمّال، تلك الطيّبة المنبت والمعشر، التي تطيعك لأنّك تشبهها فتطيعها، تستسلم لها ولمشيئتها في التعامل بعفويّة سمحة، ثمّ الانخراط معها متعاوناً مع صاحبها في خدمة الجميع ومساعدة كلّ آخر، مهما كان انتماء هذا الآخر في ثقافته.
قدِم راينر بوناك من ريف براندنبورغ، ريف ألمانيّ ينتمي إلى الطبيعة البكر والماء، هناك حيث تسود الفطرة السليمة والتشاركيّة اليوميّة المتضامنة فوق أرض الجمعيّة التعاونيّة ومزارعها، حيث تطبخ "يخنة الجزر والبطاطا" في طنجرة واحدة تكفي الأسرة أيّاماً، فتلك حلولٌ معيشيّة يوميّة لا بدّ منها في أسرة فلاحيّة أو عمّاليّة (انظر قصيدة: طفولة ريفيّة هادئة)، حيث يجد شعار (لا حرب مرّة أخرى)، الذي أطلقته ألمانيا بشقّيها، بعد تقسيمها نهاية الحرب العالميّة الثانية بين معسكري الاشتراكيّة والرأسماليّة، تطبيقه العمليّ في تربية الأطفال، فلا يتكلّم الكبار أمام الصغار عن الحرب مثلاً. لذلك كانت إدارة الشاعر لورشتنا الأدبيّة العماليّة وفعاليّاتها نابعة من طبعه الصّادق وعفويته، فلا يحتاج في ممارسة عمله إلى ليّ جسد أو روح أو عاطفة، ولا لإضافة ما قد يغيّرها أو يغيّر في المشاركين ما لا يجب تغييره، مهما تعدّدت وتنوّعت آراؤهم ورؤاهم. هكذا استقام العمل وتعاون الجميع بوفاء لإنضاج نصوص الأعضاء وتطوير الفعل الأدبيّ وتحسين أدوات إيصاله بصدقٍ وحبّ واحترام إلى القارئ.

أمّا أن تصبح أواني النبيذ نعوشاً وألاّ تستطيع الظلالُ الانفصال عن صخورها ولا تتمكّن حشرة أن تحطّ، فتصبح غباراً على أقدام نباتات بعيدة تبتعد، أن تحترق طهارة الحَمام وألاّ يشتعل الثلج في العين مثل رماد، فتلك حالات الشاعر المتشائمة أحياناً في عالم يقتات الأسلحة ويبني الحروب في منازل العصافير وثمار شجر التّفاح وأجنحة أسراب الطيور المهاجرة.
رغم كلّ واقعيّته يستطيع راينر بوناك، شاعر الهايكو الشهير، أن يكون سوريالياً أيضاً، فعلى طرق قصائده، وهي طرقه أيضاً، تتشابه الأيّام، فلا

حاضر أو مستقبلاً يستطيع لديه اليوم منح الماضي معناه، لذلك يحزم المرء الذي فيه، أو الذي خارجه أيضاً، أمتعته ويمضي على ظهر غيمة مدخّنا لفافة الحياة اللاذعة.

في قصيدته "ذباب"، تُنادم ذبابةٌ الشّاعر على كتاب يقرؤه، وحين يغلقه تغافل تلك الحشرة عينيه، فينطبق الكتاب على جسدها الصغير وتقضي متحوّلة في أحد النصوص إلى غبار مجنّح. لذلك يستعير الشّاعر من شاعر آخر حسراته المبثوثة في إحدى قصائده، ويردّد "لا حلّ في الموت"، فحين يصبح على الذباب أن يبقى ذباباً، عليه أن يبقى هو نفسه، عليه أن يطير ولو ميتاً.
لا أدري إن كان انتماء راينر الاشتراكيّ قد جعله يرى في ماركس مسيحاً. أمّا دخول كلبٍ بكلّ ألقه إلى كنيسة صغيرة على حدود مملكة الدانمارك، فلن يفاجئ أحداً في أوروبا، لكنّه يفاجئنا، نحن القادمين من ثقافات غير أوروبيّة، حيث لا يمكننا تصوّر مثل تلك اللوحة الكنسيّة، التي تكتمل حسناً بحيوانات ننكرها في لاوعينا، مهما اشتدّ جمال تلك الأحياء وطبعت أبعادها الجماليّة اللوحة أو المكان في إيحاءاتهما.
لكنّ شيخوخةً تدرك شاعرنا في قصائده، حين تدركه في الحياة، أو هو يدركها فجأة ويروي لنا محاولته في إحدى قصائده مقارنة نفسه بشابّة يراها تطير حين تنهض، فروحها فراشة. أمّا هو، فمن أين سيأتي بتلك الأجنحة وألوانها المرفرفة في هذا العمر الأشيب، هذا الذي يخونه وهو يرى الجميلة تحوم حوله؟
فجأة تذكّره شحرورة بنفسه وبعذوبة أحد مساءاته، فينسى مرور الزمن أو يتجاهله، وحين تصبح أقصى حالات السعادة لدى الشاعر، أن يسمع تغريد طير، رغم إدراكه، يوم رحلت زوجته إلى دار البقاء وتركته وحيداً، قساوة شيخوخة قادمة، يرحل هو في الذهن متذكّراً أيّام العشق ولحظات مجيء الحبيبة في المطر ومعه، ثمّ ندرة هطول ذلك المطر بعد رحيلها، فهو لم يعد يراهما، وهما الحاضران معاً، إلاّ في أحلامه. لذلك تراه يمدّ يديه محاولاً لمس الحبيبة، حين تزوره في الحلم، يسمع صوت خطواتها آتية في الممرّ،

وهي تقرع مثل حبّات المطر على النافذة، فلا سواها يأتي زائراً مع المطر!
هكذا يعيش الحبيبان إلى الأبد متّكئينِ على أمشاج وجودٍ متخيّل سحريّ الضوء.

ليست المرّة الأولى التي أترجم فيها الشّاعر الألمانيّ راينر بوناك، فقد صدرت بعض قصائده مترجمة بقلمي إلى العربيّة عام 2006 في مجلة "الآداب العالميّة" الدمشقيّة التابعة لاتّحاد الكتّاب العرب، وذلك ضمن ترجمة كبيرة شملت العديد من شعراء من ولاية ساكسونيا أنهالت. وقد ألهمت قصائد تلك الترجمة الروائيّ والقاصّ المغربي المعروف إسماعيل غزالي - مشكوراً - قصصاً متخيّلة مبنيّة أحداثها على موضوعات القصائد وإيحاءاتها، جهدٌ فنّي فاجأني وفاجأ الزملاء الشّعراء الألمان، يوم رويت مترجماً لهم بعض هذا الذي كتبه القاصّ الموهوب.

ففي قصيدته "نواح" المنشورة بترجمتي في الآداب العالمية 2006، ينقل لنا الشاعر راينر بوناك أوجاع جرّار زراعيّ مهمل على طرف أحد الحقول، كما يلي:

(أنتَ، أيّها الجرّار الصدئ
الواقف على طرف حقل بور،
هناك خلف الكثيب،
حيث يفترس الملحُ موسعاً شقوق معدنك،
بعد أن تقاعدتَ عن حراثة الأرض.
متى توقّفتَ عن العطاس بعد انتهاء العمل؟
متى امّحى من عينيك الملتفتتين إلى الخلف
ضياءُ أسراب النوارس؟
إنك تغرق ببطء في عالم النسيان
فالأولاد يمرّون بك مرور الكرام
بعد ظهر كلّ يوم في طريقهم إلى المرعى

ليطعموا الأحصنة.
أمّا أنا فجالس على كتفيك
أمارس فنّا ما زال لا يطعم خبزاً
ولا يجوعُ إليه أحد.)

هذه القصيدة الحزينة، التي يحاول فيها الشاعر تذكّر أيّام طفولته في القرية وجمعيّتها الفلاحيّة أو كولخوزها ربّما، والتي قد تذكّرنا نحن وتذكّر الشاعر بعمله معنا فيما بعد في ورشة الأدب التابعة لمصنع الجرّارات أيضاً، حيث يمارس الشّاعر ونمارس برفقته كتابة أدبٍ لا يطعم خبزاً، وإن حدث وأطعم خبزاً، فلا أحد يجوع إليه.

لقد أوحت قصيدة (نواح) للقاصّ المغربيّ بقصّة جميلة أهداها إلى الشاعر، يقول القاصّ:
"ما يزال الجرّار منتصبا على نفس الهضبة وقد عمّد الترابُ حواشيه واعشوشبت جوانبه وأزهرت في أثلامه شقائق النعمان وتراكم على حافتيّ مصطبتيه ذرق الطيور، هذا الذي يعفر بنطالي الجينز، أنا الجالس على كتفه الآن، أدوّن حكايته، التي لم تحدث أبدا، مترنّماً بشطر من قصيدة الشّاعر الألماني راينر بوناك."
ثمّ يتابع: "ما من طيرٍ مهاجرٍ مرق في سماء الوادي لم يلفتْ انتباهه مشهد هذا الكائن المنتكس المهمل على الهضبة، وهو يطلّ على هاوية السّفح كما حصان طروادي خاسر، تركه أبطاله المأساويّون إلى لا رجعة. فينزل الطير توّا، بدل أن يواصل هجرته ... ليأخذ قيلولة من ذهب، ...، ثمّ ترى الطيور تتساقط فرادى ومثنى ورباعاً على أضلاعه الثّلاثية، ولا يستغرق الأمر إلاّ دقائق هزيلة، حتّى يصير الجرّار مكسوّا عن آخره بالرّيش، كما لو كان طائراً خرافيّاً ضخماً أو كما شجرة غريبة مسحورة تثمر طيوراً ...
تعاقبت عليه الفصول، خريفاً، شتاء، ربيعاً وصيفاً، وهو يفقد في كلّ مرّة ضلعاً من ضلوعه أو طرفاً من أطرافه، عضلة عضلة وعظما عظما... خلفه توارى اللّصوص ومطاردوهم... وعلى سفحه تبادل العشّاق القبل

ودخّن مراهقو البلدة وتسامروا على نار أوقدوها بجواره، فأصبح الجرّار مأوىً أثيراً للخيانة واقتراف الحبّ وملاذا أبديّاً للعزلة ..."

طفولة ريفيّة هادئة،
مساءً
في الوقت تماماً،
فالمرء يستطيع ضبط ساعته
على موعد إطعام القطّة
فوق حضرة الدار.

وحين يجيء اللّيل، يأتي
دائماً على درّاجته الهوائيّة،
يجلس ويخطف
زجاجة بيرة ويفتحها.

هذا هو، جدّي، ومعه العمّ
هيلموت وكورتي النّجار
إنّهم يتنبّؤون بالمطر،
والحديقة والخشب والحفرة.

أمّا جدّتي،
فمازالت كعادتها، ترتدي المئزر
وتقطّع الجزر من أجل "يخنة البطاطا"
للأيّام الثلاثة القادمة.

وهذا أنا أيضاً، بين كلّ تلك الأصوات،
جالسٌ كالصمت، إلى أن ينتبه أحدهم:

الولد،
لم يأو إلى فراشه بعد!

لم يتكلّم الرجال
عن الحرب يوماً
أمامي، وهم يجلسون
على المقعد أمام البيت.

لقاء غير متوقّع

داهمني
وقوفي أمام يسوع،
فها هو يعيش
فوق لوحة الهيكل
في الكنيسة الصغيرة،
تلك الجزيرة التي هجرتها الآلهة
على هامش المملكة،
ويلعبُ هناك
مع الأولاد المشرّدين.

في أهدأ زاوية
لذلك السّكون تسكن
صورة أحد القدّيسين،
وتذكّر عن بعد
بالدكتور ماركس.

فيما بعد انضمّ

كلبٌ إلينا،
وبدا
كأنّه جزءٌ من اللوحة.

خرافة

حدث أن
أصبحت الجِرار المتبقيّة
للنبيذ نعوشاً من طين.

حدث أنّ
الظّلال ما عادت تستطيع
الانفصال عن الحجر.

حدث أنِ
انتهى الوداع
قبل بدئه.

حدث أن
احترقتْ طهارة الحمام،
فخسر معناه.

حدث أن
طارت خنفساء فوق أرضٍ قحْلٍ
غباراً على أقدام أزهار تبتعد.

حدث أن

سقط الثلج ثانية، لكنّه ما عاد يحترق
مثل رماد في عين العمى.

في الطريق

لا يوجد يومٌ،
يمكننا مقارنته بيوم آخر،
يقولُ ويشعل سيجارةً،
يقف،
يدخّن،
يحزم حقيبة ظهره بكتفيه،
ويغادرُ المكان
بعربته الصغيرة
في غيمة.

ذباب

تلك الذبابة الصغيرة، لم يرها أحد،
حين انغلقَ الكتابُ والتهمها،
هي الآن بعض غبرة لا أكثر، بقعة مجنّحة
بعد مضّي عدّة أيّام، وقبل متابعة القراءة بين الأسطر:
(آه أيّها الموت! يا موت،
أنت لستَ حلاًّ!
فعلى الخفافيش أن تكون خفافيش.) –
والذباب ذباباً، أقول أنا.

(ما بين قوسين اقتباس من: "طيور، ورود وحيوانات بريّة، د. ه. لورنس، 1885-1930".)

تعليق

(إلى وحيد نادر)

مايْرون، نحّات يونانيّ من زمان سبق زماننا،
صنع تمثالاً لصُرصور.
أنيْته، شاعرة إغريقيّة عاشتْ قبل زماننا
ووصفتْ: كيف دفنت صديقتها ميرو
صُرصوراً وجرادةً!
وحيد، شاعرٌ سوريّ من هذا الزمن،
ينقل لنا: كيف تبحث قبّرة
عن عشّها في الدخان،
بينما تحترق الرّيحانة!
مأخوذاً أطّلع
على مواضيع مؤثّرة ومواقف
يرويها الفنّ.

ما حصل لي

قشرة الروح
من أجنحة الفَراش،
قالت فتاةٌ
وهي تنهض، ثمّ حلّقت
مغادرة بلا شفقة.

أنا على الأرض، رأيتُ
في مرآة ماء البِرْكة
عمري الأشيب،
تلك الموجات الصغيرة وهذي الغضون
في الوجه، فوقفت
بلا أجنحة، نامياً بثبات
في سنوات عمري، وقد
عرفت، ما الذي حصل لي؟

(مع محفّزات أثارتها مجموعة "بشرة الروح ماء" للشاعر لودفيغ شومان، كاتب وكاهن، 1951-2019.)

ما لا يُقال

وقتاً طويلاً
أتجاهلُ
مرور الوقت.

ثمّ أسمع شحرورة
تغنّي ذلك المساء
في طرفة عين.

لا أملك أكثر
لأقوله
في محاضرتي
حول الحظّ السعيد.

دورة

تأتي دائماً
حين تمطر.

دائماً
تقول على الباب: لا تنس
القطرة!
حين تذهب.

دائماً
تذهب،
ثمّ تمطر بعد ذلك
نادراً.

صباح كانونيّ

لا تنسي فتاتَ الخبز!
للذبابة.

ليلاً، في الممرّ

خطواتٌ مسرعة.
من سيأت سواكِ
بعد الآن،
أنت التي لن تأتي أبداً.

ليل منتصف الصيف
متّكآن نحن – على الأبد
في ضوء سحريّ.

فهرس الرموز والمصطلحات:

- راينر بوناك ، مازلت أسمع أحياناً بعضاً من شوبان، قصائد، دار نشر كتبٌ حسب الطلب، نوردرشتيدت 2020/ألمانيا.
Reiner Bonack, Manchmal höre ich noch etwas von Chopin, Gedichte, Verlag: BoD-Books on Demand, Norderstedt, Deutschland 2020
- وحيد نادر Wahid Nader: شاعرٌ ومترجم وأستاذ جامعيّ من أصل سوريّ يعيش في ألمانيا. حاصل على جائزة الشّعر في الجامعات السوريّة عام 1978 وعلى جائزة معهد غوته للترجمة الاحترافيّة/معرض لايبزغ الدولي للكتاب عام 2012. عضو اتحاد الكتّاب الألمان ورابطة الكتّاب السوريّين، يكتب باللّغتين: العربيّة والألمانيّة ويترجم منهما وإليهما. له أربعة دواين شعر وترجمات كثيرة.
- ماجديبورغ Magdeburg، عاصمة ولاية ساكسونيا أنهالت-Sachsen Anhalt، وسط شرق ألمانيا. شوينيبك Schönebeck بلدة جنوب شرق ماجديبورغ على نهر الإلبه، حيث تقع ماغديبورغ أيضاً.
- براندنبورغ Brandenburg، ولاية ألمانيّة أقصى الشمال الشرقيّ على الحدود مع بولونيا، وزينفتن بيرغ Senftenberg، بلدة تتبع إلى براندنبورغ وتقع في أقصى جنوبها على الحدود مع ساكسونيا.
- المعهد العالي الألمانيّ للآداب في لايبزغ (DLL)، يتبع حاليّاً إلى جامعة لايبزغ ويقدّم في برنامجه التدريسيّ تدريباً نظريّاً وعمليّاً للكتّاب على الكتابة الأدبيّة. تأسّس المعهد عام 1955 أيّام ألمانيا الديموقراطيّة أو الشرقيّة، وكان يسمّى حتّى عام 1993 معهد الآداب "يوهانّز ر. بيشر".
- وحيد نادر، هسيس الورق الأصفر، من الشّعر الألمانيّ المعاصر، شعراء من مقاطعة ساكسونيا-أنهالت، الآداب العالميّة، العدد 128، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق 2006.

- مايرون أو مَيرون Myron، نحات يونانيّ من أثينا منتصف القرن الخامس بين 480-440 قبل الميلاد اشتهر بمنحوتته "رامي القرص"، أو ديسكوبولوس، وقد نُسخت هذه المنحوتة الحركيّة الجميلة مراراً، وهناك نسخ طبق الأصل عنها في المتحف البريطانيّ والفاتيكان. كان مايرون تلميذ أغيلادس، الذي تتلمذ على يديه النحات فيدياس أيضاً. (الموسوعة الحرّة)
- أنيته من تيغيا Anyte von Tegea، شاعرة يونانيّة من القرن الثالث قبل الميلاد، يقارنها الدارسون بالشاعرة سافّو Sappho من جزيرة ليسبوس القرن السابع قبل الميلاد. اشتهرت أنيته بقصائدها في الطبيعة، ويقول عنها البعض، بأنّها النسخة الأنثويّة من هوميروس. (الموسوعة الحرّة)

سعدي يوسف: سنوات الجزائر
البدايات مغلقة والنهايات مفتوحة دائما
حكيم ميلود

كنت مهجوسا دائما، منذ سنوات بعيدة، بمطاردة شبح الشاعر الراحل **سعدي يوسف** في **الجزائر**.. أحاول أن أتقصّى المحطات والأماكن التي ارتادها، والفنادق والمقاهي والحانات التي كان يحبها، وأيضا الناس الذين عرفوه أو رأوه أو قاسموه بعض مشاغله ومواجعه. وبحكم إقامتي في **تلمسان** القريبة من **سيدي بلعباس** أين أقام الشاعر مدّة طويلة بعد استقلال الجزائر، كنت أذهب إلى هذه المدينة التي يسكن فيها بعض أصدقائي، فنمضي وقتنا كله في حضرة سعدي يوسف، ونستحضر قصائده، والإشارات الموجودة فيها للأمكنة، إذ قصيدة سعدي هي قصيدة مكان..

قبل أن يأتي سعدي يوسف إلى الجزائر سنة 1964، كانت تسكن أحلامه، وقد كتب عن ثورتها قصائد، لعل أقدمها ، نجده في ديوان **"51 قصيدة (1959)"** والقصيدتان هما: **"إلى أحد الجزائريين الخمسة"** والقصيدة الثانية: **"مرّة أخرى أيّها الفرنسيون"**، وفيهما يستحضر الثورة الجزائرية، ونضال الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي، وقد كتب القصيدة الأولى سنة 1956، بعد اختطاف الفرنسيين لطائرة الوفد السياسي الجزائري الذي كان وقتها في المغرب. وتم تحويل الطائرة إلى فرنسا، وسُجِنَ الزعماء الجزائريون الخمسة. بعدها بقي الشاعر مسكونا بالشغف الحالم للثورة التي حررت البلاد سنة 1962، وشكلت له، هو الثوري اليساري، نوعا من اليوتوبيا التي طاردها في أحلامه وكوابيسه. خاصة عندما يرى العراق يخرج من انقلاب ليدخل في آخر، وقد عانى سعدي

تجربة السجن المريرة في سجن نقرة السلمان، بسبب مواقفه السياسية، وقد جاء إلى الجزائر بعد تجربة السجن المريرة سنة 1964.

لم تكن إقامته عابرة، في أرض الشهداء، إذ أمضى فيها سبع سنوات، ووجد فيها قصيدته التي كان يبحث عنها، والتي تجسّد رؤيته الشعرية المؤسَّسَة على الجمع بين الفعل الشعري والفعل الثوري، حيث كان يهجس وقتها بمنعطف جديد لتجربته، وبمسار آخر قد يفتح له أفقا مختلفا، وهذا ما تجسّد بالفعل، من خلال الدواوين التي كتبها في تلك الحقبة، ابتداء ب **"قصائد مرئية" (1965)** مرورا ب **"بعيدا عن السماء الأولى" 1970)** و**"نهايات الشمال الإفريقي" (1972)** و**"الأخضر بن يوسف ومشاغله" (1972)**. وبقيت حاضرة في: **"تحت جدارية فائق حسن" (1974)**، و**"الليالي كلّها" (1976)**، و**"الساعة الأخيرة" (1977)**. ثمّ عاد إلى الجزائر لفترة قصيرة، بين سنتي 1979 و1980، حيث أقام في مدينة **باتنة** في الشرق الجزائري، واستمرّ حضور الجزائر في تجربة سعدي يوسف عبر استعادات مضيئة، خلال كل مساره الشعري الطويل.

اكتشف سعدي يوسف، في الجزائر، عالما آخر، وجغرافيا مختلفة، فالبلاد شاسعة كقارة، غاباتها كثيفة، وشواطئها ساحرة، ومعمارها مزيج بين ما هو كولونيالي، وما هو عربي، وصحراؤها واسعة، والناس فيها قد انتصروا قبل حين على أعتى قوة استدمارية شنيعة، فيهم براءة الثوار، وتسكنهم أحلام طموحة ببناء بلاد جديدة، اختاروا الاشتراكية، وهم يمثلون الفجر الجديد لكل الدول المستقلة حديثا أو التي تناضل من أجل استقلالها، وكانت الجزائر تسمى حينها "مكّة الثوار" وأغلب رواد حركات التحرير في إفريقيا وآسيا وأمريكا والعالم العربي الإسلامي أقاموا فيها، بعضهم منفيًّا، والبعض الآخر جاء يستلهم ما كانت تعيشه البلاد من زخم وحيوية لا مثيل لهما. وفي هذه الأجواء جاء سعدي إلى الجزائر: **" ما الّذي قد صنعتَ بنفسكَ؟/ كانت بلاد الجزائر واسعة مثل...إفريقيا/ كان في كل مزرعة غابة مثل...إفريقيا/ كان في كلّ مفترق نخلة مثل... إفريقيا/ كان شاطئها ملعبًا للأسود الصغيرة. 1**

إنّ إقامة الشاعر سعدي يوسف في الجزائر، في أوائل الستينيات، شكّلت

بالنسبة إليه، بداية علاقة جديدة مع نفسه، ومع المكان الجديد الواعد بكل المفاجآت والآمال. وقد انخرط بحيوية كبيرة في هذه التجربة، مع احتفاظه بحساسية المنفي، المغترب عن بلاده، والمتأمّل بعمق في التحوّلات التي تحصل أمامه. "كان وصوله إلى هذا المكان النائي عن العراق والقريب في الوقت عينه عرقيا ودينيا، هذا البلد المتفرد من حيث الطبيعة والتضاريس والمزاج وثنائية اللغة، بقوميته العربية والبربرية وطقوسه وحياته كمستوطنة فرنسية سابقا، كل تلك المكونات جعلت أيامه، فترات اكتشاف ومقارنة وتثاقف أثرت معارفه. الأمر الّذي أحدث نقلة دراماتيكية في وجدانه توضّحت في تبدّل طقوس شعره ولعلّ أبرزها ضمور النزعة المسرفة في عاطفيتها التي تصاحب قوله، واتجاهه إلى الإحساس بالزمان والمكان على نحو مغاير." **2**

الأمر الثاني الّذي ميّز إقامة سعدي يوسف في الجزائر، هو القرب الجغرافي لهذا البلد من المغرب وإسبانيا، فكان سهلا على الشاعر زيارة هذين البلدين. وأغلب ما كتبه صار يحمل في ثناياه حضور المناخ المغاربي والإسباني، واستعادة الحضور الإسلامي في الأندلس، عبر الرموز والإحالات التي تتكثّف، وتتعمّق فتخلق الحساسية الشعرية لسعدي يوسف في تلك المرحلة، وكذا بصمته وصوته وطريقته، التي سيحفر معالمها بصبر. نجد مثلا أول إشارة لزيارته إلى إسبانيا في قصيدتي: **"غرناطة"** و**"ساحة إسبانية"** اللتين كتبهما سنة 1965. **"أرصفة الميناء، في أرصفة الميناء/ يا أوّل الأرض التي عانقت لقياها/ يا آخر الأرض التي ضيّعت رؤياها/ بحثت عنها دون أن ألقى محيّاها/ حتّى كأنّي لم أصافح غير أيدي الماء..." 3** وابتداء من هاتين القصيدتين ستبدأ التيمة (الموضوعة) الأندلسية في شعر سعدي يوسف، لتأخذ حضورها المتميّز في تجربته.

أقام سعدي يوسف إذن في **سيدي بلعباس** بأقصى الغرب الجزائري، منذ سنة 1964. درّس في ثانوية **عزّة** ، وسكن في البداية في فندق **ميتروبول** الفرنسي البناء، ثم في شقة ذات طراز كولونيالي في عمارة **برادو**، وسط المدينة، وكان يوجد في طابقها السفلي بار، كان يرتاده سعدي. كانت سيدي بلعباس مدينة ذات طراز كولونيالي، إذ بناها الفرنسيون على النمط

المعماري ل**باريس**، وكانت تسمى **باريس الصغيرة**، مدينة فلاحية بامتياز، يغلب على نمط عيش سكانها الطابع الغربي.. ناسها متفتحون، ويرحبون بالغريب.

عاش فيها سعدي بهدوء، محتميا بعزلته، قليل التواصل مع الناس، يتجول في أحيائها وقراها القريبة، ومزارعها المعروفة بزراعة الكروم، ونبيذها الجيّد، وكان يتنقّل منها إلى المدن القريبة: **وهران وتلمسان والعاصمة**. هنا بدأ المسار الثقافي العميق للشاعر، وسنوات التعلّم، إذ ساهمت هذه السنوات في تكوينه الثقافي، حيث انفتح على الثقافة الفرنسية، وقرأ شعر رامبو وأراغون وإيلوار، وكتاب الجزائر الذين يكتبون بالفرنسية خاصة، مثل: كاتب ياسين ومحمد ديب ومولود فرعون ومالك حدّاد وغيرهم، كما عمّق معرفته بالشعر والأدب الإسبانيين، خاصة لوركا ورفاييل ألبرتي، والتقى بكتاب جزائريين ومغاربة مجايلين له. وهنا أيضا ترسّخت لديه فكرة المنفى والرحيل والحنين المقيم للعراق، وتجلّت بشكل بارز ثنائية الوطن/ المنفى، والنظرة الناقدة للوطن، وكذا عنف الانتقال من الصحراء إلى بيئة شمال إفريقية تتميّز بالخضرة والمطر والثلوج وكثافة الغابات، والمناخات المختلفة. "كانت هذه التجربة من أكثر الأوقات خصبا في حياة سعدي يوسف، بدأ يتّجه نحو كتابة تختلف عن السابق، كتابة محتشدة بأحاسيس من مرّ بأحداث جسام وملك عاطفة مضطربة وذاكرة تتواجه مع العالم بشعور الألم وإحساس حادٍّ بالخيبة والإحباط، وقبل هذا وذاك بهاجس العودة المستحيلة إلى الوطن" **4** في هذه المرحلة، ربما بسبب الإحساس المرّ بالمنفى، والميل الحاد إلى العزلة، بدأت تتفتّح ملامح قصيدة سعدي يوسف، وأول مظاهرها الخروج من النزعة العاطفية، إلى القصيدة الملموسة المرئية، أين يتكثّف الحس البصري، ويغلب الوصف التفصيلي للأمكنة، والالتقاط المرهف للأشياء المهملة، وكذا الحرص على بناء القصيدة وتشكيلها بتوترات إيقاعية متنوعة، وشفافية غنائية، تعطي للأبعاد الدرامية، وتعدّد الأصوات، والاعتماد على التقطيع السينمائي، وتجريب المسرح الشعري السيطرة الكاملة على المشهد الشعري "...يبدو الشاعر حاد البصر والبصيرة، غير مغفل فائدة المفارقة المقترنة بالسخرية والمعارضة أو

المحاكاة التهكمية، ملحًّا على الكنايات البصرية والتوافقات الصوتية، متمردا على انتظام الإيقاع بما يفضي إلى اللامقامية النغمية التي تنتهي إلى قصيدة النثر، فتغدو القصيدة حادة كالمسامير، أليفة كالنباتات المنزلية، مرهفة كالأسئلة المباغتة، مليئة – دائما – بالمفارقة التي تنبني عليها."**5** تخففت قصيدة سعدي أيضا من أحمالها القديمة، كما تصاعد التوتر بين انفصام واتصال مع المكان والزمان الجديد.

هكذا ترسّخت طريقة سعدي يوسف، التي عرفت كيف تذيب المرجعيات الثقافية، خاصة الحضور الواضح للتاريخ، ولاستعادة الاكتشافات الأولى لشمال إفريقيا والأندلس، خلال الفتوحات الإسلامية، أو الانتقال من الصحراء إلى ما كان، لفترة طويلة، مناطق سيطرة للرومان والبيزنطيين، ثم محاولة التركيز على الإحالة لابن خلدون والتغريبة الهلالية، التي شكلت نقطة مفصلية في تاريخ المنطقة، ثم العمل بإلحاح على التيمة المغاربية، والوصول إلى ابتكار الشخصية القناع الأخضر بن يوسف، التي ستصبح العلامة المتميّزة لسعدي يوسف وقرينه الّذي سيعطي لتجربته تميّزها الفارق. في حوار مع الشاعر والصحفي الجزائري أحمد حمدي ،سنة 1975، يقول سعدي يوسف، حين أجاب عن سؤال: "– أخيرا.. ماهي مشاغل الأخضر بن يوسف؟ - إنه سعدي يوسف جزائريا أو مغاربيا، والحق أنني اخترت اسم الأخضر لأنه مثل محمد فهو رمز للجزائر.. ربما صدى اختيار **كاتب ياسين** لشخصية الأخضر التي تولد وتموت مرّات عديدة وتولد من جيل إلى جيل، في رواية **نجمة**. والمجموعة كتبت في العراق ما عدا قصيدتين فقد كتبتا في سيدي بلعباس وواحدة في دمشق. كنت في "الأخضر بن يوسف ومشاغله" قادرا على مراقبة نفسي ومراقبة ما يجري في العراق وأنا في أرضية مغاربية، من هنا تكون القصيدة ذات أصالة عراقية مغاربية. وأحيانا أستخدم الجو والظروف الجزائرية كدروع في الكتابة بشكل ملفت عن قضايا عراقية، وما زلت أستخدم هذه الطريقة إلى الآن." **6**

إن إشارة سعدي يوسف إلى كونه اختار اسم الأخضر، محيلا إلى الشاعر والروائي الجزائري كاتب ياسين، صاحب رواية **"نجمة"** التي كان بطلها

"الأخضر"، وتعتبر أهم رواية مكتوبة بالفرنسية للجيل المؤسس للرواية المغاربية المكتوبة بالفرنسية، يتيح لنا، ربما، أن نقدم معلومة غير معروفة عند نقاد سعدي يوسف، إذ رواية كاتب ياسين "نجمة" هي رواية - قصيدة، يمثل فيها الأخضر رمزا للجزائري الّذي يطارد نجمة حبيبته التي ترمز للجزائر التي نام في سريرها كل الغزاة، وهو رمز للإنسان الجزائري المسكون بهاجس البحث عن الهوية، والانتماء، في ظل الاستعمارات الطويلة. لهذا لم يكن المكان الجزائري، وحده مصدرا لتجربة سعدي يوسف، بل أيضا الأدب الجزائري، في علاماته البارزة، وقد تكون قراءة سعدي يوسف للكتاب والشعراء الجزائريين الّذين يكتبون باللغة الفرنسية، هو ما أتاح له أن ينعطف بقصيدته إلى أفق آخر، ويستفيد من حداثة النص الجزائري الذي كان يمثل في تلك المرحلة، أعلى ما وصل إليه التجريب والحداثة، وهذا ما منح بالتالي لقصيدة سعدي نبرتها الجديدة، ويمكن التوسع في هذا الموضوع، مع العلم أن كاتب ياسين تولى إدارة مسرح سيدي بلعباس في السبعينات وألف وأخرج مسرحيات ثورية كثيرة، قد يكون سعدي يوسف اطلع عليها وألهمته.

تجلت إذن تجربة سعدي يوسف الجزائرية، في عدة مستويات، وعرفت عدة أبعاد. بعضها على علاقة بالأمكنة والمدن (سيدي بلعباس، وهران، الجزائر العاصمة، تيبازة، تلمسان، مغنية، وفيما بعد باتنة وبسكرة، وطولقة...) وبعضها على علاقة بالسياقات الثقافية والتاريخية وحضور الأدب الجزائري في كتابات سعدي، وأيضا بمناخ التحولات التي عرفتها الجزائر، وبشارات الأمل... ثم هناك التفاصيل التي ترتبط بإشارات وعلامات وأجواء تستلهم رموزا وإحالات شكلت أدوات سعدي لبناء قصيدته الجديدة.

تبدو قصيدة سعدي يوسف في مرحلته الأولى بالجزائر، بسيطة متقشفة، ترصد وتلتقط التفاصيل، أمكنةً وحالات، علامات وبؤر إشعاع. لكنها تخفي داخلها التوتّر الحاد لمعنى المنفى، ولحياة الغريب القادم من خسارات فادحة، وانهيارات مؤلمة. كما نجد فيها ذلك السخط الواضح على الوطن والرفض لما آل إليه، والمقارنة بين الهنا والهناك: **" في المغرب الأقصى،**

غريب أنت.../ يا نهرا تشفّ به السماء/ ما دجلة العوراء/ ما " المختارة" الخضراء؟ أسماء وماء/ وادٍ ببلعباس، يسقي الزان والبستان، خير منك.../ لكن أين تلتمس السماء. 7 يتجلى هنا النقد اللاذع للوطن، والإحساس بالغربة، كما في كل القصائد التي كتبها سعدي في سيدي بلعباس في هذه الفترة: **"سماء بلعباس لا تنحني**
فيها، ولا تمطر منها/ النجومْ
سماء بلعباس مبنيّهْ
قرميدة حمراء فوق الكرومْ
سماء بلعباس صخريّهْ. 8

يرصد سعدي هنا بتكثيف حاد، السماء المكفهرة لسيدي بلعباس، المعروفة بشتاءاتها الباردة، وبكرومها، وأيضا ببيوتها ذات القرميد الأحمر، لكنه يربط كل ذلك بالشعور بالغربة، إذ هذه السماء تتحول صخرية. وتصبح حالات المنفي أقوى، حين يتجول غريبا وسط الناس : **"وفي أسواق بلعباس،/ في وسط المدينة،/ في المقاهي حيث لا تتركّز القهوة/ وفي البارات إذ تتأخّر الساعةْ/ ستُسْمَع همسةٌ "دخل المهاجر"،/ وتبقى قطرة البيره/ في حلقي شوكه..." 9**

ويصل الحزن إلى ذروته: **"في سيدي بلعباس مقبرة بيضاء/ وفي الأعياد ترتدي الأبيض/ والأخضر./ عباءات النساء/ والصنوبرْ/ كثيرا ما فكّر أنّه سيُدْفَن فيها. 10** إن القصيدة هنا، فيما تصف مشهد مقبرة، يصل التصعيد إلى قمة الاغتراب، حيث الخوف المأساوي للغريب من الموت في المنفى...

مع ذلك يبقى الغريب مرتبطا بمكانه الأول، يستغل أبسط فرصة ليتذكر، وليستعيد العراق الذي تركه خلفه: **" إن النخل في وهران ليس كما عرَفْتَه/ غابا من السعف الشّحوب تعمّق الأنهار صمته/ النخل في وهران - كالأسدين- يمشي في الظلال/ متمهّلا، يدنو من البارات مغلقة، وأبواب المنازل/ والبحر والساحات...ثم يعود يقبع من مَلال/ ريح الجنوب تهبّ...يا ريح الجنوب:/ لو مرّة قطرتُ شيئا من رطوبتكِ الثقيلة ملء كوبي."11** المشهد واضح هنا، في ساحة الأسلحة بوهران، الأسدان منحوتان في مدخل دار البلدية، والنخيل مصطف يزيّن الساحة، والبنايات

الكولونيالية المجاورة، المسرح، والبارت/ وفي الأسفل قليلا جبهة البحر.. وهران التي وصفها كامو في رواية "الطاعون" وفي "صيف، وأعراس" لكن الشاعر يعود إلى نخل الجنوب في العراق... النخل في وهران غريب مثل غربة الشاعر... المدينة أوربية تقابل الصحراء هناك.

تأخذ قصيدة سعدي يوسف منعطفا أكبر، وتتسع الموضوعة المغاربية بخصوصيتها الواضحة، وتتطور البنية الدرامية، من خلال استحضارات شفافة تجمع بين اليومي والسياسي والجمالي والتاريخي، وأكثر ما تتجلّى في ديوان **" الليالي كلّها"** خاصة في قصيدة **"مديح إلى مؤرخ مغربي"**

"هكذا نغرق،
بين السفن اللائي تراءين، ورمل الأنظمه
ربما، في لحظة مستحكمه
يولد الضباط، أو يهجرنا نسرٌ إلى الريف
ولكنا سنبقى دائرين
في زجاج "البلد المخزن"... نحن المالئينْ
- كلما استُنْفِد بيت المال- أوراق الدواوين
وأوراق مرور الجند."12

وهنا يظهر النقد الواضح للسلطة الملكية في المغرب خلال تلك الفترة، مثلما يلاحظ في قصيدته "أوراق من ملف المهدي بن بركة" التي بلغ بها سعدي يوسف أوج التنديد باغتيال المعارضين السياسيين، وفي قصيدة أعتبرها شخصيا من أهم ما كتب الشاعر في هذه المرحلة وهي **"عبور الوادي الكبير": "بعدنا عن النخل.../ ها هي شمس القرى تمنح النخل غابا من الريش أحمر./ ها هي أكواخنا:/ -سعفة نستظل بها أو وقود لبغضائنا - 13/**

يعود سعدي يوسف في نهاية سنة 1979 إلى الجزائر، يقيم فترة قصيرة في العاصمة، ثم يسافر إلى مدينة **باتنة** في الشرق الجزائري، ليدرّس في جامعتها لمدة سنة تقريبا. عاد إلى الجزائر بعد مضايقات في العراق، وتدخل من أصدقائه في جبهة التحرير الجزائرية.. عاد سعدي إلى الجزائر بعد أن حقق حضورا شعريا متميزا، وصار من أهم الشعراء العرب.

وصاحب تأثير في الأجيال الجديدة التي أحبّت قصيدته. كما أنه ساهم من خلال ترجماته للشعر العالمي، التي بدأها في هذه الفترة، في التأثير في الحساسية الشعرية العربية الجديدة و توجيهها إلى أسماء مثل **يانيس ريتسوس وقسطنطين كفافيس، وغارسيا لوركا، وأونغاريتي وفاسكو بوبا وألكسندر هولان** وغيرهم من الشعراء. وكان له الفضل الكبير على جيل الثمانينيات، خاصة كتاب قصيدة النثر والتفعيلة أمثال أمجد ناصر وعباس بيضون وسليم بركات وغسان زقطان ...

لقد عاد إذن إلى الجزائر، بعد أن سالت مياه كثيرة تحت النهر، وبعد أن رسّخ حضوره الشعري، وأصبح صاحب طريقة، لا كما جاءها في المرة الأولى في بداية الستينات وهو ما يزال يبحث عن صوته وقصيدته..

عندما نقرأ ديوان: **"من يعرف الوردة"** الذي كتب كل قصائده في الجزائر، بين العاصمة وباتنة، ما عدا قصيدة واحدة هي **مادونا** التي كتبها في بيروت، نلمس أن شعر سعدي يوسف هنا، ينعطف مرة أخرى، مستعيدا التيمة المغاربية. هل هي الأقدار التي حملته إلى مدينة **باتنة**، وهي منطقة أمازيغية، يقطنها الشاوية الأحرار، عرفت تاريخيا المقاومات الكبرى لكل الغزاة القدامى، إذ في هذه الجهات الممتدة من الهضاب العليا إلى الجنوب الشرقي، بين باتنة وبسكرة، قاوم الجزائريون الرومان والبيزنطيين، ثم قاوموا الفتوحات الإسلامية لفترة طويلة، عن طريق الكاهنة وأبنائها وكسيلة، وهزموا جيوش المسلمين عدة مرات، قبل أن يختاروا طوعا الانخراط في الفتوحات، بعد مقتل عقبة بن نافع ومجيء موسى بن نصير، الذي تحالف معهم، وانطلقوا لفتح الأندلس بعد ذلك. ثم إن هذه المنطقة قد عرفت الغزو الهلالي المدمّر، وانتشار الهلاليين واختلاطهم بالأمازيغ الشاوية..

يأتي سعدي يوسف إلى العاصمة في نهاية سنة 1979، مستلهما رحلة ابن زريق البغدادي: **" يعرف أن ابن زريق.../ آه للحمّى / والبرد،/ والجوع الذي كابَرْتَ أن يسمّى./ قد ترحل الليلة.../ لكن قضاء الله ضاق/ ضاق/ وضاقت معه حتى عروق الآه."14** كما أنه يأتي بقناع الهلالي، إلى **باتنة** أحد مستقرات الهلاليين في التغريبة، وفي قصيدة **باتنة** يقول: **" جبال،**

كمكّة، جرداء/ وادٍ كمكّة، لا زرع فيه/ وأنت الهلالي – أفقر من ذرّة الرمل/ بدَّلْتَ تيهًا بتيه." 15 هي رحلة أخرى، ومتاه آخر، لكن الشاعر يختبر بالحواس ما تمنحه الصدفة أو الخطوة الضالة، ويطوي كالبدوي خيمته، ليبسطها في قفر جديد، مستسلما للمتاهات: **"ما الّذي جاء بي؟ / كيف ألقيت نفسي بهذي البلاد.../ دائرا في شوارعها / ذاهلا في الحدائق / مستسلما للنعاس.../ ما الذي جاء بي؟/ إن أهلي بعيدون / لا يعرفون/ فإن عرفوا... هل تراهم يمدّون لي الحبل؟ قد يصعب الأمر: / غادرتهم في الطفولة.../ والناس ينسون.../ حتى أنا لست أذكر أهلي. / ولكن هذا النعاس المعتق إن طال يقتلني."** 16 حتى الجزائر التي عاد إليها الشاعر ليست بلاد الأحلام التي رافق سنوات بنائها الأول، وعرف عن قرب ما كان يمور في أعماقها من حيوية وتحول.. هي الآن تعيش المأزق، وصراع الإخوة الذين غيرتهم الكراسي والمصالح، وهو يعرف بحدس الشاعر أن الأفق ضاق، ومنفى آخر ينتظره بعد وقت قصير: **"لو كان عمرك أرحم... لو قسوة الصخر كانت أقلّ.../ ولكن، لماذا تحاكم ما أحكمته الهواجس؟"** 17 لكن أجمل ما يواسي الشاعر، تلك الواحة التي تذكره بأرضه الأولى في العراق.. واحة **طولقة** التي منحته الراحة الباطنية، والسكينة التي كان يبحث عنها: **" طولقة.../ أهاجر إليك / هجرة الخارجي إلى الباطن / وأقول: بهية أنت.../ ربما كنت ميّتا حينما جئتك أمشي / على خطاي الأخيرات. فهل أنت / دهشتي؟ أم ملاذي؟ أم سماواتي / التي لم أجدها مرّةً؟ ربما / ولكنني أخطو خفيفا على مهاد / من الأعشاب والسعف والتحول،/ فلأصمت قليلا عن احتضاري الطويل. "** 18

بعد هذه الإقامة القصيرة في الجزائر ستطوّح المنافي بالشاعر، فيعيش تيها طويلا، بين بلدان كثيرة، وآخر عودة له إلى الجزائر ستكون قصيرة، ينشط فيها أمسية شعرية سنة 2012. لينأى عنها حتى وفاته بلندن سنة 2021، لكن سيتذكرها في قصائده، ونصوصه، باعتبارها أرضه الثانية التي منحته صوته وأرض قصيدته، ولغته التي هي بيته الحقيقي، ومستقره الباقي..

الإحالات:

1-سعدي يوسف: الأعمال الشعرية الكاملة ج1 - دار العودة – بيروت - لبنان – ط3، 1988، ص 196.

2-فاطمة المحسن: سعدي يوسف، النبرة الخافتة في الشعر العربي الحديث - دار المدى - دمشق – سوريا - ط1 2000- ص113.

3-سعدي يوسف: المصدر السابق - ص 412.

4-فاطمة المحسن: المرجع نفسه - ص112.

5-جابر عصفور: تحولات شعرية – الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة- مصر- ط1 2016، ص 189.

6-أحمد حمدي: حوار مع سعدي يوسف - من صفحته في الفايسبوك.

7- سعدي يوسف: المصدر السابق ص 346.

8- المصدر نفسه - ص332.

9- المصدر نفسه - ص 211.

10- المصدر نفسه – ص 51.

11- المصدر نفسه - ص 366.

12- المصدر نفسه – ص 94.

13- المصدر نفسه – ص 98.

14- سعدي يوسف: الأعمال الشعرية الكاملة -ج2 - دار العودة – بيروت – لبنان - ط1 -1988- ص 117.

15- المصدر نفسه - ص 82.

16- المصدر نفسه - ص 79.

17- المصدر نفسه – ص 70.

18- المصدر نفسه - ص 63-64.

غادة السمان في ديوانها "عاشقة في محبرة"
بين الشعر والمكان الدمشقي
م علاء الدين عبد المولى

تزوّج الحنانُ من الحجر
فوُلدتْ بيوتٌ تنحني على أهلها كرمٍ
في أزمة متلاصقة الشّفاه كهمس العشّاق
قرب "باب توما" و" الشاغور" و" القصَّاع " و"سوق ساروجة"
و"الذهب الضوئي"،
يسيل من قباب الجامع الأمويّ وستّي زينب
ومن جرس كنيسة القديس بولص وآثار أقدامه حتّى روما...

* * *

أفتتحُ بهذا المقطع الشعري، لأحاول أن أقول شيئاً تحرَّك داخلي وأنا أقرأ الكتاب الشعري **"عاشقة في محبرة "** للأديبة الكبيرة **غادة السمان**. وعادةً لا أشعر بارتياح كبير لما تكتبهُ غادة السمان من نصوصٍ تسميها هي أو غيرها قصائد. وأرى أن أهمية أدبها، كما هو معروف نقدياً للجميع، تكمن في تجاربها الروائية والقصصية التي أكاد أزعم انه لا أديبة عربية توازيها في هذه الأهمية، على الأقلّ حتى بداية التسعينيات.
لا شك أننا لا نفصل بين غادة السمان الروائية المتميزة، وبين نصوصها الشعرية فشخصيتها وآفاقها واحدة أينما كتبت، حتى في تحقيقاتها الصحفية النادرة، لكن الأمر يدخل في باب قراءة النص الشعري نفسه. فأرى أنه معبأ بالنثر وأحيانا الكلام العاديّ الذي لا تتعب قلمها في صياغته صياغة فنية هي أكيدٌ ليست عاجزة عنها، وأدبها يعطينا خير دليلٍ على هذا. والشعر عملية ذات خصوصية فريدة أرى أن غادة السمان تتقدم بشكلٍ بطيء

لالتقاط هذه الخصوصية. هذا ما أحسست به وأنا أقرأ كتبها الشعرية السابقة. حتّى قرأت **"عاشقة في محبرة"** فاستوقفني أسلوبها، القديم الجديد طبعاً، وراجعت موقفي من نصوصها الشعرية الأخرى. ورأيت أنها في كتبها الجديد ترتفع بمستوى النثر إلى الشعر أكثر مما فعلت في كتبها الشعرية الأخرى السابقة وهذا لا يظهر في الموضوع، ونعتذر عن التقسيم الإجرائي لأنه غير وارد في الرؤية النقدية الشاملة، لكن يظهر في كيفية تعاملها مع موضوعها فموضوعها يمتدُّ بعيداً عبر مساحة متجانسة، أي أن مواضيعها تتكرر هنا وهناك وتبقى الكيفية هي مقياس التطور مبدئياً. لا شكّ أننا نقرأ في كتابها الجديد عوالم العشق، والأنوثة، والشّرق، والحكمة والمدينة، والشعر نفسه يبدو هنا كموضوع للشعر. ونجد الطبيعة والحنين... وهذا تجلَّى هنا بصورة أكثر مهارة وألقاً.

والحقيقة أنّ ثمة ضرورة للتأكيد بأنَّ غادة السمان حتى في أدبها القصصي والروائي تمتلك علاقة الشعر مع موضوعها من جهة إيغالها في باطن الموضوع وإدراك نبضاته حتى التي لا تتكلم، إنها تقيم حواراً مع الكون والثقافة والناس حواراً تديره بطريقة شعرية. وهذا لا شك سيظهر أكثر ما يظهر في نصوصها النثرية الشعرية. والأمر يتعلق على كل حالٍ وكيفما كان بامتلاك غادة السمان لحساسيةٍ نادرةٍ تدخلها في أفق أنثوي معروف بتمتّعه بالحساسية العالية أمام الآخر، كيفما كان الآخر. وحساسية في التعامل مع المكان والصوت والكون والحركة. وهذا كتابها "عاشقة في محبرة" يدلنا على هذه الحساسية وعنوانه بالنّسبة لغادة السمان الأدبية الاستثنائية عنوانٌ غير عابر. وهي صاحبة أجمل وأندر عناوين نسائية في الأدب العالمي. إنها في كتابها تمارس العشق واللغة معاً. تتعامل مع العالم كله بعشقٍ، ولكن تتعامل معه باللغة. ولا نفصل بين اللغة والحياة إلاَّ بقدر ما يتطلبه منَّا الموقف الفنيُّ الإبداعي الجماليُّ للأديبة من الحياة. إنها تمارس حياتها كأديبة، وتخلق عوالمها باللغة (الحبر) تقول:

ها أنا أسقطُ
لكنني مصرّةٌ على تركِ آثار أقدامي وآثار أقلامي
فوق عتمة الهاوية... وبياض الورقة! .

(ص 18)

تقول أيضاً:

متعتي أن أظلَّ أغرد للحب، لا أن أعيشهُ،
وأن أعزفه على الأصابع البيض لبيانو الورقة
حتّى أسقط في منتصف البياض
قطرة حبرٍ تحاول رسم أجنحة لتحلّق بها!

(ص 100)

تقول أيضاً:

أخطُّ هذه السّطور إليكَ
لأقصَّ في ورقتي البيضاء نافذةً
أقفز عبرها إلى الغابة
وأركض صوب ضوء كوخكَ...

(ص 112)

وكثيرة هي النماذج التي تتوضح فيها علاقة غادة السمان بالعالم، وكيفية هذه العلاقة. إنها مسكونة ببياض الورق، الذي هو البراءة الأولى والصَّمت الذي يسبق فعلَ الخَلْق. وفعل الخلق بالنَّسبة للأديب والمبدع هو الكتابة على هذا البياض. فالبياض هو الذي يظهر آثار أقدامها وأقلامها هو الذي يعطيها الخلود بصورةٍ أوضح. ولحظة الخلق الغني على بياض الورق إنما هو سقوط فعليٌّ في الهاوية وعتمتها. إنَّ البياض هنا يملي على غادة السمان أن تفضل فعل العشق على المعشوق. وهذا يتردد كثيراً في صفحات كتابها (نتذكر الحب، ونحبهُ، وننسى الحبيب والمتعة ليس جوهرها أن نعيش الحبَّ، بل المتعة في أن يظل هذا الحبُّ سبباً للغناء، سبباً للإبداع. فما قيمةُ الحبّ إن كان فعلاً نفسياً لا يحرّض على الابتكار، لا سيما بالنسبة للمبدعين والفنانين. إنَّ جوهر الحب هنا أن يتشكل منه كائن يمارس الإبداع ويحوّل قطرة الحبر إلى أجنحة يحلق بها. ومنها، ومن بياض الورق مرةً أخرى، تنطلق الأديبة حرةً عبر نافذة ينهض شكلها من الحروف والحبر، لا قيمة للحبر إن كن سيعتقلُ العاشقة، هو بدءُ الحرية. وكم تلهجُ غادة السمان

بذكر الحرية في كتاباتها. وهي ممَّنْ تمتازُ بهذه الصفة من بين المبدعات العربيَّات. غادة السمان والحرية توأمٌ لا أتصوَّر جوهراً لأحدهما بدون الآخر... حريةٌ في وجه كل ما يمنع الإنسان من الحياة على الأصعدة جميعها، بما فيها صعيد العملية الإبداعية وغادة السمان تحترق في معاناة رفضها للمعايير التقليدية الشائعة في أوساط الحياة والثقافة ومشغولة هي بتحطيم العلاقات الروتينية بين الأشياء إذا رأت أن هذه العلاقات تسيء إلى جمال الأشياء. تقول:

ثمة مقبرةٌ اسمها التَّفاصيل
تدفن فيها أبجدية المرأة الشرقية
كهياكل السيارات الصدئة المحطمة
لتي لا تزال تحلمُ بالريح والمسافات وشهوة الأفق

(59)

إنَّ مقبرة الأبجدَّية هذه، التي سببها التَّفاصيل تقف عائقاً أمام عاشقة الحرية. لذلك تلغيها. وتقترح لذاتها الأفق الذي تشعر فيه بمطلق الإنسانيّة حتّى ولو أدّى ذلك إلى النّسيان لكلّ ما يشكلُ حدّاً لانطلاق الروح.

مفهوم غادة السمان حول حرية المرأة العربيّة، مفهومٌ نموذجيٌّ تقتدي به الفتاة العربية المثقفة، إنها الحريةُ التي تحتفظ كرامة الإنسان مهما كان انتماؤه. وتحرضُ هذا الإنسان على رفض الزيف والنفاق والتّملق. وتعلّم المرأة أن تعرف موقعها الحضاري جيداً. ولهذا نرى في هذا الكتاب موقف الهجاء والتعرية لنموذج الرجل العربي المزدوج الشخصية حتى لو كان مثقفاً، أو سياسياً ثائراً، ذلك أنَّهُ قد يتّخذ الثقافة والثورة أقنعة جميلة لإخفاء جوهره المتناقض بطريقة متخلفة... وهو قد لا يرى خللاً في أن يدافع عن "البروليتاريا" في قصره الأنيق الفاخر، في الوقت الذي ينظر فيه إلى المرأة على أنها شيءٌ ما تتناقله الأيدي الذهبية.

لدى غادة السمان في هذا الكتاب طاقة على الانفتاح إبداعياً على لماضي بأمكنته ووجوهه التي إذا حضرت في الذاكرة تنتشل غادة نفسها، كإنسانٍ، من حضارة المظاهر والمعادن والبذخ والشعارات. وهروبها إلى ماضيها الدمشقي الياسمينيّ هو دفاع عن ذاتها أمام هجمة الحاضر المشوه

الكاذب. وقد رأينا في النموذج الذي افتتحنا به هذا الكلام عودتها، وهي دائماً تعود، إلى دمشق المكان الأول الذي يظل في الذاكرة جميلاً، يمكن أن يغطي حضوره بشاعة الحاضر...

تقول أيضاً:

ثمة مدينة داخل رأسي توقف فيها الزمن
اسمُها دمشق. تتابع حياتها كما كانت يوم فارقتُها
لا تنمو أشجارها ولا تذوي ..
ولا يهرم أحباب الأمس فيها ولا يموتون...
ص (25)

وعودتها إلى الماضي ذو وظيفة ما، وهي عودةٌ إلى البعيد كذلك، إلى أيام العشق في المكان الأندلسي، حيث ابن زيدون وولاَّدة. وهناك تخرج غادة ومعها قصيدتان (عاشقة تروي حرائق الأندلسية) و(وابن زيدون يستجوب ولاّدة العاشقة) وهما من النصوص المتميزة في الكتاب بحداثة موضوعهما ورؤية الأديبة للحب الذي عناصره من الماضي ، لكنّها مرتبطة بالحاضر... وفيهما تصوّرٌ جماليٌّ لعلاقة ابن زيدون بحبيبته... وليس لنا هنا إلاَّ أن نقرأ ما تقوله غادة السمان على لسان ولاّدة حبيبة ابن زيدون عندما يحاكمها.

تقول له:

حين أتلو قصائدكَ على مسمع اللَّيل كتعويذة
يخرج وجهي من قناعه ، وجرحي من مخبئهِ
وتسبح أسماكي صوبك ناسيةً خلع بحارها عن أجسادها
وتركض مهرتي صوبكَ، ولا تزال عالقةً في حوافرها...
وتطاردك أزهاري مع بساتينها.
(ص 45)

ومن قصائد الكتاب التي لا تنسى، قصيدة (**عاشقة في جيبها نجمة**)

في جيبي نجمةٌ، أتحسَّسها

حين تنهار المدينة فوق رأسي
وتتفتَّت وجوه أحبابي داخل المرايا المحَّطمة
نجمة دافئة مضيئة، أحتفظ بها كتعويذة
في جيب معطفي الممزّق بطعنات أزمنة عدوانية...
(ص 74)

قصيدة عاشقة في جيبها نجمة كونيّة نادرة، استطاعت فيها غادة السمان أن تمزج البسيط بالمعقَّد، الصغير بالكبير، المحلّي بالعالميّ. وذلك في نصٍّ يحقّق متعةً جمالية للقارئ لا توصف. وغادة ليست بمعزلٍ في جميع كتابتها عن أن تحقّق هذه الأحاسيس الجمالية الاستثنائية للقارئ.

أخيراً. لا مهرب لقارئ هذه الكلمات عن **"عاشقة في محبرة"** من العودة إلى الكتاب نفسه. فلا شك سيرى وجهاً جديداً من جوه عديدةٍ إبداعية تمتلكها امرأة نادرة الوجود أسمها غادة السمان.

والكتاب من منشورات غادة السمان – بيروت. حمل غلافه الأوَّل للفنان الكبير رينيه ماجريت. جاء في – 160 – صفحة من الحجم المتوسط. وهو الكتاب الثَّامن والعشرون لغادة السمان. والكتاب الشعري الخامس لها .